
سَاحِر الكُتُب
رواية
شبح الثائر
فتحي محمد
الآفاق العربية



شبح الثائر

rebel spectre

رفقاء الكوكب المنكوب...أعزائي ... لنمت، لو مِتنا

سينقلب الكون كله رأسًا على عقب

الكاتب/ فتحي محمد

الناشر

دار الآفاق العربية



فتحى محمد ، فتحي
شبـــح الثـــائر
ط١، القاهرة : دار الآفاق العربية ٢٠١٧
١٥٢ص ، ٢٠ سم

١_القصص العربية .

أ. العنوان 813

تدمك : 978-977-344-382-5
رقم الإداع : 2016/25378

الطبعة الأولى

1438هـ /2017م

نشر _ توزيع _ طباعة

55شارع محمود طلعت من ش الطيران

مدينه نصر _ القاهرة





إهداء

هذا الإهداء لن يقرأه أحدهم أو جميعهم أهدي
هذا العمل إلى روح جدي رحمه الله وأسكنه
فسيح جناته

وإلى الدكتور والأستاذ الكبير أحمد خالد توفيق
مع الإعتذار له إن كان أسلوبي قد تلون به عشقًا

وكذلك الاستاذ عز الدين شكري فشير
فهو من أعادني إلى القراءة والكتابة مجددًا



المقدمة

هذه الرواية لا تتحدث عن مكان، ولا تتحدث عن زمان..
تلك الرواية تتحدث لك أنت .. أنت وفقط
أنت الذي ستتمكن من قراءة تلك السطور التي لم تكتب،
وتصنع لها تفسيرًا منطقيًا ..
هذه الرواية تخاطبك، فلتسمع ولترَ ما لا يمكن لغيرك أن يراه

يا أيها الموتى، يا أيتها الأشباح .. سجناء الكوكب المنكوب
أحبائي .. لن يأتي أحد لخلاصكم، فأنتم الخلاص

كتبتها وتركت لك مصير العالم، فاعبث به كما تشاء، فهو عالمك على كل حال...



الفصل الأول

" لو لم نكن أحياءَ فقد عشنا ما يكفي ولو كنا أحياءَ فلندعوا الله أن نموت"

(القاهرة - ٢١٢١)





النوبة

"في بلاد الذهب
لون الذهب أحمر
في بلاد الذهب
لون الحياة أحمر
في بلاد الذهب
طغى لون الدماء
لون الدماء أحمر"





زحام القاهرة ... لن نخرج من هنا أحياء... ربع ساعة بالقارب ثم ساعة ونصف الساعة لنصل إلى وسط المدينة، سيقتلني السيد آدم؛ حذرني من التأخير اليوم بالذات.

و ما ذنبي أنا؟ أكان يفترض بي أن أستيقظ في الخامسة لكي أصل في الثامنة صباحًا؟

تبًا لشبه جزيرة شبرا .. تبًا للقاهرة.. تبًا للنيل.

طائرات (الجى آر سي) تحوم حول القاهرة .. إنه إحتفال بالنصر، الذكرى الثالثة و الثلاثون لنصر التحالف.

إن لم تشاهدهم في السماء فهم في شاشات الميادين حولك، وفي مكبرات الصوت، وفي شبكات الإذاعة الهوائية، توهمك الإذاعة وشبكات الإعلام أن النصر في كل مكان .. في سيارتك المهترأة، وفي راتبك الذي لا يكفي قوت يومك، وفي المجاري التي أغرقت الشوارع؛ فأصبحت أمرًا عاديًا، وفي جواسيس النظام الذين ربما يكونوا أقربائك، ولو لم تعرف نفسك ... لظننت نفسك منهم.

النصر حولك في كل مكان .. ولكنك لا ترى بسبب الأدخنة الكثيفة، والعوادم و الغازات السامة

النصر هو أن تظل حيًا وسط كل هذا .. هو نصر ال J.R.C وحلفائها

رنين الهاتف يقطع حبل أفكاري عن النصر:

_ آلووو

- السيد آدم .. خمس دقائق وأصل

_إن لم تصل في خمس دقائق فأنت مفصول



- و لكن ما ذنبي؟ الزحام شديد وأنت تعلم

_ فلتسرع أيها الوغد ...تيت..تيت ..تيت

لو لم تكن علاقتي بالسيد آدم جيدة كصديقين .. لكنت مفصولًا منذ زمن...

لعنة الله على الجريدة وعلي ال J.R.C

قالها في غضب، تلفت حوله يبحث عن جاسوسه الذي يرصده ..فلم يجده .. تنفس الصعداء و تابع القيادة.

المبنى التاريخي لجريدة الحدث بوسط القاهرة عمره حوالي ٥٠ عامًا

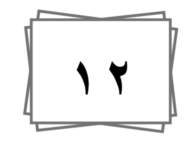
الآن....لا أستطيع تحديد لونه من الصور، ربما كان أحمرًا.. قرمزيًا أو ما شابه، مكاتب متراصة تشبه المكاتب الحكومية في تلك الأفلام القديمة، سلالم تعلوها صور صحفيين، ورؤساء تحرير، وشعار الجريدة، الدور الرابع حيث لا يعمل المصعد الكهربائي.

لا أشعربقدمي...إني لاآكل جيدًا، أن تعيش وحدك يعني بالضرورة أن تأكل من النفايات وفقط..... من النفايات.

محمد إسماعيل ... ما ألطف هذا الصباح عندما تبدأ يومك بمحمد إسماعيل! هذا البدين ذو الرائحة المقززة هو الشيء الوحيد الذي ينبهك إلى التقزز في تلك المدينة النتنة، مفعم بالفضول لدرجة أن يسألك عن لون ملابسك الداخلية، وقد يعارضك إن ارتديت لونًا لا يروق له وكأنه زوجتك.

أصافحه بيدي فتمتلئ لزوجة من عرقه .. أعتقد أنه نموذج المواطن الأفضل في هذا النظام، فإن كان جاسوسًا فهو يعجبهم بالتأكيد.

_أستاذ أحمد .. أخيرًا أتيت! .. السيد آدم ينتظرك على أحر من الجمر.





_صباحك سعيد يا محمد..هلا كففت عن الإستهزاء قليلًا؟ لن أخبرك كيف هو حالي... المهم في أي شيء يريدني السيد آدم؟

_هو بالداخل إسأله لو أردت... عن إذنك.

الغريب في الأمر هو ضحكته، لا يغضب لأني أسبه وجهًا لوجه، يتصرف على أن هذه طبيعته .. ربما تعود من كثرة تعرضه لهذا الموقف.

فتحت باب مكتب رئيس القسم بعد قرعتين بأصابعي، السيد آدم يبدو غاضبًا جدًا، يجلس وخلفه نافذة ضخمة لا ترى منها شيئًا.

_آسف سيد آدم على التأخير لكنك تعلم زحمة القاهرة

_لا وقت لهذا .. الموضوع مهم

_ماذا حدث؟

_عليك التوجه الآن إلى جنوب أسوان .. فحرب النوبيين اشتعلت مجددًا ويجب أن تغطي أخبارها

_حسنا .. سأرتب

_لا وقت..قالها مقاطعًا في حزم.. كل شيء جاهز ستنطلق خلال ساعة بالقطار

خرجت على عجل من المكتب متوجهًا إلى غرفة الصحفيين... خمس مكاتب وأسافر أنا!!

لم لا يسافر محمد إسماعيل؟ فلربما يقتل وننتهي.



جلست أجهز آلة التصوير الخاصة بي، وأكلم المصور الذي سيصحبني، رفعت الهاتف أتفحص القائمة .. كمال .. حسيب .. خوزام .. أمجد .. أجل هو أمجد.... الشخص المناسب للمهمة المناسبة، به كل المواصفات .. مجنون – لايخاف – لا يثرثر – لا يتعرق – ليس فضوليًا – و يعرف الطبخ، و أخيرًا فهو محترف..لسنا أصدقاء في العمل، غير أن علاقتنا جيدة من أيام الجامعة وسننسجم سويًا بسهولة.

_آلوو .. أمجد

_أحمد..كيف حالك؟

_أنا بخير ..لدينا مهمة عمل

_أين؟

_أسوان..الحرب الأهلية

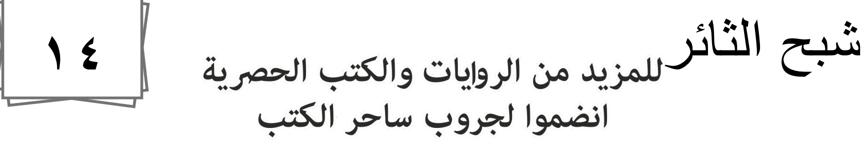
_سأجهز المعدات وأتصل بك

_أنا حجزت التذاكر بعد ساعة في محطة مصر – رصيف٩

حجزت لنا الجريدة مقعدين في قطار الدرجة الثانية المكيفة والمتجه إلى أسوان .. لا أتبين لون القطار أو المقاعد ولكن حركة الطيران إلى هناك كانت متوقفة، سنقضي هنا ثماني عشرة ساعة على أقل تقدير .. علينا تدبرأمر رحلتنا على كل حال.

سروال قصير وقميص أزرق وشعر طويل أشعث، هو أمجد لا ريب في ذلك.

_نحن لسنا ذاهبين إلى باريس لتصوير الفتيات .. هناك حرب اهلية، ألا تلاحظ ؟





_أرجو المزيد من الإحترام لذوقي

_أرجو المزيد من الإحترام للحرب ههههه

_لم أكن لأعلم باندلاع الحرب سوى منك

_ألا تعمل صحفيًا كما أظن؟

_مصور إذا سمحت .. أصور فقط ولا أتابع شيئًا، فليس هناك ما يستحق المتابعة من الأساس، وربما عليك الآن إخباري بالمزيد لكي أقوم بمهمتي

_حسنًا.. لنجلس ثم نبدأ بسرد القصة

_أفضل هذا.. فلدينا لب ومحمصات كثيرة لننهيها طوال الطريق

_لن تتغير أبدًا يا أمجد

_ولم قد أتغير .. ما دام لم يتغير الوضع

_حسنًا يا أمجد .فلتركز معي قليلًا كي تفهم

النوبيون من سنوات طويلة يعانون من إهمال الدولة ومن التهميش .. أعلم أننا كلنا نعاني من إهمال الدولة و لكن الأمر لم يتوقف معهم عند هذا .. لقد هُجروا من آراضيهم، وفي الآونة الأخيرة أُخذت منهم آراضيهم المليئة بالذهب واعتُقل رؤساء قبائلهم وحدثت انتهاكات أخرى لا أتذكرها، ولكنهم قد طالبوا بالإستقلال عن مصر .. فلم تستجب لهم الحكومة بل لم تعرهم اهتمامًا من الأساس، بدأ الأمر بالمناوشات، وانتهى الأمر بمحاولات الإستقرار المسلح تلك .. أغلقوا مدينتهم، ويقاتلون من أجلها.

أمجد.. أمجد .. أنمت أيها المتصابي؟ وكأنني أصطحب طفلًا في نزهة

هل سمع القصة؟ .. لا يهم سيقوم بعمله على أية حال.



القطار .. لم أستخدم هذا الإختراع منذ سنين، أبناء طبقتي من المتوسطي الحال يسافرون بالطائرات .. يحدق بي كل الجالسين هنا..

وأنا أيضًا أحدق بهم ..أعلم أني قد أكون ظاهرة لا تتكرر كثيرًا، من هؤلاء؟ شكلهم لا يختلف كثيًرا عني، ولكنهم ضعفاء .. أرى هذا في أعينهم .. يقتلهم الذل والعجز والمرض، الأمراض تتفشى في هذه الطبقة، يموت يوميًا قرابة خمسمائة وثماني عشرة ملايين العشرة آلاف شخص بأمراض مزمنة أي وأربعمائة شخص سنويًا، ويصاب ما يقرب من ثلاثة ملايين وستمائة ألف شخص بأمراض تؤدي إلى الوفاة من الدرجة الأولى.

ويعتبر فيروس (سي) هو الأكثر قتلًا بسبب التلوث ويليه الإيدز ومشتقاته .. هؤلاء البشر يعيشون بمعجزة.

هناك شاب وفتاة يسرقان اللمسات المحرمة بعيدًا عن أعين الناس، لو تعلق عليهما طبقتهما أمل النجاة... يعلمان أنهما من الناجين فيروس الإيدز يغازل فيروس سي، يعبث بيده في ثنايا جسده، ينتشي.. يحتضن.. يقبل الأصابع .. هكذا أرى المشهد .. أموات يعبثون في مقابر الأحياء.

نوافذ القطار مهشمة، وأطفال يتدلون منها وهو يسير، لا يعبأ أهاليهم بحمايتهم، فهم لديهم المزيد من هؤلاء الكائنات المتسخة مهترأة الملابس.

زادت نسبة المواليد هنا في القاهرة بحيث أصبح هناك حوالي خمسمائة مولود كل ساعة (كان المعدل مئتان وعشرون مولودًا كل ساعة عام ألفين وأربعة عشر) بمعنى أن الكفة تزداد بمعدل إثني عشر ألف شخص يوميًا، ولكن معدل الوفيات ازداد أيضًا بسبب التلوث والإهمال والأمراض والحروب، فلم يختلف الوضع كثيرًا من حيث الكثافة منذ خمسين عامًا مضت، إحدى إنجازات ال (جي آر سي)

أمامنا خمس عشرة ساعة أخرى هنا .. سيكون جيدًا لو استطعت الخلود للنوم.

....



_أحمد

_أين أنتِ يا هبة؟

_أنا هنا .. أنقذني .. الماء .. الماء

الماء يغرق كل شيء .. الماء يشدني، يدخل إلى فمي .. إلى عيني .. إلى أذني

لا أرى .. أختنق .. أحمد .. أحمد ..

_هبة .. هبة ما بكِ؟

....

_أحمد.... أحمد

_أمجد؟ .ماذا حدث؟

_بل ماذا حدث لك أنت؟ ...أمازال هذا الكابوس يزور أحلامك؟

لم ننم سويًا قط إلاو يصيبك ذلك الكابوس

_يحرمني النوم كل ليلة .. لم أستطع انقاذها

_هي لم تمت وحدها .. مات معها الآلاف...

هو ذنب الدولة لأنها لم تخل المناطق محتملة الإصابة

_وما ذنبي أنا؟ لقد مرت الآن عشرة أعوام ...

عشرة أعوام لا أستطيع النوم .. عشرة أعوام لا أحيا بشكل طبيعي

عشرة أعوام بدون هبة.. لم يكن قد مر على زواجنا غير شهور ..



رحمك الله يا هبة...

_ يرحمها الله ويرحم موتانا

_ما تلك الجلبة؟ .. يبدو أن بعض الناس يتشاجرون ..لا يهم على أية حال

حلبات المصارعة الرومانية في العصور الوسطى ..

هكذا كان الأمر، دائرة وفي الداخل شخصين يتدافعان بقوة

يشهر أمجد آلة التصوير لكي لا تفوته تلك اللقطات الحية من عرض الاقتتال.

انسحبت خلف أمجد لأرى...

لا أدري من أين ظهرت تلك العصا المعدنية أو حتى قطرات الدماء التي أصابت وجهي، أو متى انفجر رأس هذا الشخص.

جثة .. كل ما تبقى من الأمر جثة وحولها الناس ينظرون في بلاهة .. وكأنهم ينتظرون جولة أخرى، بدأوا ينسحبون إلى مقاعدهم بعد إقناعهم بعدم وجود جولة أخرى.

شخص ما سحب الجثمان إلى آخر العربة حيث أرقده ويتركه ليعود لمكانه.

رائحة الدم أتذكرها، تشمها هنا في كل شيء.. الدماء هي المادة الأساسية التي كونت هذا المستنقع الذي نعيش فيه.

المشهد ليس جديدًا على أنظار الناس .. هم معتادون على تلك المشاهد ...

هكذا تُحل الأمور في أغلب أحياء القاهرة.

_متى نخرج من هنا؟ هذا المكان مقزز

_ربما بعد خمس ساعات أخرى





_أتريد مشاهدة فيلم؟

_أي فيلم؟

_أمريكي بالطبع

-اخفض صوتك، جواسيس ال J.R.C في كل مكان

_حسنًا، لنشاهد

_لدي مقرمشات كافية لخمس ساعات

الأقصر .. توقف القطار بصورة مرعبة، أو لعله توقف بنفس صورته ولكني كنت قد استسلمت للنوم .. لم أحلم، ولكنها مشاهد كثيفة ومربكة.

الجثة .. نظرت لأطمئن إن كانت هناك أم رحلت، لقد حدث هذا حقًا .. شخص ما قد مات متاثرًا بانفجار في رأسه، لقد أنقذه انفجار رأسه من إنجازات ال(جي آر سي) في مجال التلوث، لقد مات ..هكذا كانت نجاته، والآخر يجلس ليتناول وجبة خفيفة قبل المغادرة من القطار..أظنه الذي قَتل.

- يا سادة، آخر القطار هنا، قد وصلنا أسوان .. سيارات من الجبل...

من هذا؟ لقد قالها هذا متعجلًا ومتعصبًا وصارخًا، أظنه الدولة ..أجل فهذا الموظف هو آخر ما يمثل الدولة هنا، لا شرطة، لا مرافق، لا حياة، لا دولة إلا هو.

لا طائرات تحلق حولك، ليس هنا، لا تنتظر قذائف فلن تأتي حتى ال J.R.C

أمجد ليس معي الآن، منذ خرجنا من ما يشبه رصيف محطة القطار، وهو يصور، يصور و حسب .. بركة أحماض متراكمة من فضلات البشر...

أطفال بدون ملابس، نساء لولا الحجاب لظنننتهم رجالًا

رجال أنهكهم الجوع والمرض، نساء ترهلوا بسبب كثرة المواليد



أراهن على أنك قد لن تكون قادرًا على تفرقة أولادك لو كنت منهم تتعرقل في الأطفال كأنهم أحجار على أرض طينية مشبعة بالفضلات.
ربما مستنقعات الأمازون أكثر تحضرًا الآن.

فندق "رع" أفخم فنادق الأقصر، تستطيع هنا أن تجد دورة مياة للاستحمام.

قد اتفقنا أنا وأمجد على ضرورة النوم قبل المغادرة للنوبة، فلا أظن أن هناك متسع من الوقت للنوم.

في آخر طوابق الفندق العالي، في تلك الغرفة الضخمة ذات الإثني عشر مترًا، بالتحديد في الطابق الأول بعد العشرين، أرى الأقصر أكثر مدن الصعيد تطورًا.

قلمي لا يفارقني، ومفكرتي وآلة التصوير التي أظن أنها العين الثالثة لأمجد.

يدفعني شعور للكتابة .. أقلب الصفحات البيضاء .. ماذا أكتب؟

أمسك القلم بحزم وألطخ الورقة البيضاء بخط عريض وبشع

عليَ أن أذهب و تبول على تمثال رمسيس الثاني لأنه أحد أسباب قيام تلك الدولة.

_قليل من الخمر يكفي

هكذا قاطع أمجد أفكاري ضاحكًا، بيده كأس خمر من ذلك النوع الذي أفضله، مذاق الخمر تغير كثيرًا، حتى الخمر انحدر.

أمجد يجمع باقي لفافة التبغ من فوق سطح "الكومودينو" .. قديمًا كانوا يفعلون هكذا في السجائر، يفكونها ويضعون بها بعض المخدرات ويلفونها ثم يدخنون ..

أما الآن فلا داعي .. إن ستنشقت الهواء تُخدر ..





طائرات ال (جي آر سي) تحوم بكثرة الآن، من الواضح أنه شيء استثنائي هنا وغير معاد...

الناس في الشارع يشاهدون، لا أرى جيدًا .. أيلعب الخمر برأسي؟

هل تلقي الطائرات شيئًا؟ أجل ..القنابل... القنابل البيضاء أصابتني

بعضها .. جريت، اختبأت، علقت إحداها بقدمي العارية .. هي معي تحت السرير

أنظر لها، ستنفجر .. بل إن دمي سينفجر أولًا

عقلي يتوقف، لا أرى، لا أسمع صوت الإنفجارات، هل مت من الصدمة العصبية؟

هل حدث انفجار كبير؟ هل أطرافي في مكانها؟ هل رأسي في مكانه؟

أمجد .... أمات؟ أم هو حي؟ ...هل سيتعرف علينا أحد ما؟ ..أم أن لحم القاهريين طيب المذاق صالح للأكل؟

هل سأدفن في معدة أحدهم أم في القبر؟ هل سيعرفني أحد، أم سألقى بالقمامة؟

_أحمد .. أحمد .. أحمد

هذا صوت أمجد، أتحشر الأرواح معًا؟ .. من ماتوا معًا أتتلاقى أرواحهم؟

_أحمد ... هههههه

يضحك، حتى روحه تضحك، ولكن ألم، لقد مات .. لم يضحك؟

_اخرج....اخرج يا أحمد، ماذا بك؟

أنا لا أسمع بوضوح، عيناي لا تقوى على الرؤية، الظلام يعم،



يبدو أن روحي قد دخلت النار، لم أكن سويًا على كل حال .. لا أرى شيئًا.
_قم أيها المخبول

_أمجد، صباح الخير .. رأسي سينفجر

_ألم ينفجر البارحة؟

_ماذا تقول .. ؟

_أمامنا ثلاثة أيام قبل القصف

_أي قصف

_القنابل التي قتلتك أمس

_أأنا ميت الآن؟ .. ماذا تقول أيها الاحمق؟

_أنت لم تكن بوعيك .. أنصحك بعدم شرب الخمر مجددًا،

عمومًا .. ألقت الطائرات البارحة بيانًا، ينص على إخلاء المكان لأنه سوف يقصف المنطقة لقطع الإمدادات عن النوبيين وحصارهم

_إذًا علينا التحرك

_أجل، و لكن كيف نعود للقاهرة؟

_لم أقصد هذا، علينا التحرك للنوبة

_والقصف؟

_إن قتلنا سنكون محظوظين صدقني

_أقنعتني .. فلنحزم أمتعتنا
_سأتصل بالدليل الذي سيصحبنا من خلال الجبل



سيارة ماركة (مرسيدس) ذات الدفع الرباعي القديمة، متهالكة الأوصال لا تنتمي لعالم سيارات الضوء والكهرباء، ما زال الوقود القديم يستخدم هنا، فهو الأرخص ثمنًا، ويصلح لمهام أخرى لا يقدر عليها الضوء في غياب تكنولوجي كامل، طرق مقفرة، لا إشارة للهواتف هنا، القمر الصناعي لا يغذي تلك المنطقة .. هناك تعتيم عليها، على كل هذا أفضل من أن يتعقبنا قراصنة

ال OUTER NET ..ونلقى حتفنا هنا

نصف ساعة ونصل، سنقابل المصدر .. أو هكذا نسميه نحن معشر الصحفيين منذ مئات السنين .. دبر لي السيد آدم لقائي مع المصدر،

وهو شخص نوبي من داخل أو قريب من مجلس شيوخ البلد، لا أفهم تداخل العلاقات الغريب الذي شُرِح لي عن نسب وشجرة العائلة، وقائمة متوالية من الأسماء لا دخل لي بها.

لم نتبادل الحديث منذ ركبنا، أمجد مشغول ومنهمك في تصوير جبال متشابهة، وكأنك في غرفة محاكاة تصنع لك عشرات النسخ من المنظر نفسه وعليك اختيار الحقيقي منها...

وأنا منشغل في الترتيب والتفكير في كيفية الإستفادة من مصدري بأقصى درجة ممكنة...

والدليل أعتقد أنه نائم .. لا أظن أن السيارة تحتوي على نظام الملاحة الآلي، ولكني أظنه نائمًا والسيارة تعرف الطريق.

حسنًا هي دقائق تفصلنا عن المصدر..

ثياب بيضاء من عصر ما قبل الثياب، وجه أسود باسم..

أراهن على أنهم هكذا منذ فجر التاريخ لا يتغيرون، قرأت عنهم مرات قليلة .. .. يُشبهم علماء البحوث الإجتماعية بالمستنسخين





$@@$%$%^$&*&)&90&$%#-

هكذا سمعت ما قيل، مر على كلامه وكأنه متوالية من أكواد برمجة الحاسوب...

تلك اللغة التي لا يفهمها إلا الحاسوب حتى المبرمج لا يفهمها، فهو يحفظها فقط.

أظن أنه ظهرت علامات الغباء على وجهي أنا وأمجد، مع احمرار الخدين وبعض الدخان الصاعد من رأسينا، فاستطرد قائلًا:

_مرحبًا بكما في مملكة الذهب..

عذرًا نسيت أنكما لا تتحدثان لغتنا الأم

_لا يهمك، أسعدني أنك تستطيع التواصل معنا

_هيا لتستريحا من عناء السفر، ثم تشرحا لي لماذا أنتما هنا بالضبط

_أرجو أن أستريح حقًا، حتى وإن لم أفعل شيئًا آخر

شوارع متسعة ومضاءة بالكامل، إشارات مرور و آلات تصوير، أبراج مطرزة بأسماء...

نسخ من أناس سود في جلاليب بيضاء،

وابتسامة ناصعة ولامعة، يتحركون في كل مكان .. سيرًا أو بعربات الوقود العضوي أو في عربات الضوء الحديثة

وكأنك عبرت فجأه خط الزمن و ليس الجبل.

أين الهمج التي تتحدث عنهم الإذاعات وتنقل صورهم الأقمار الصناعية؟



أين العفن السائل الذي يحاربه ال J.R.C؟

أين أسلحة القذائف الكيماوية والنووية على أكتاف الرجال؟

بادرت بسؤالي للمصدر ... _أين نحن؟

_أنتما الآن في قلب دولتنا، أنتما هنا في النوبة

أظن أن هناك خطأ، أو نحن عبرنا حدود الزمن .. لا أظن أننا مازلنا في العام ألفين ومائة وواحد وعشرين، عقلي مرتبك.

_أجل سيدي، مازلنا في العام ألفين ومائة وواحد وعشرين .. أعلم أن الحقيقة ... قاسية ولكن هذه هي الحقيقة، نحن أكثر تحضرًا منكم أنتم أبناء مصر

_لم أبالِ بنبرة التعالي في صوته، أو اعترافه بالإنشقاق عن مصر أو حتى باعترافي الضمني في سكوتي عن كلماته تلك، لم أبالِ إلا بغبائي هذا، رغم كل التقدم ووسائل المعرفة، لم أكتشف أن الإعلام يخدعني كل هذه المدة وحتى ال

.." OUTER NET

انتبهت فجأة لوجود مشغل أغانٍ يعمل على القمر الصناعي بالسيارة، لم أنتبه إلا عندما تردد صدى كلمات تلك الأغنية لفريق الفضائيين أو كما يسمون أنفسهم

“singers from outer space”

كانت الموسيقى الطاغية تعلو بكلمات

"لا تطمع في الجنة فأنت لم ترها إلا بأعينهم

ولا ترهب الجحيم فأنت لم تره إلا بأعينهم

عليك أن تفقأ أعينهم لترى

إفقأوا أعينهم جميعًا .. إفقأوا أعين الأوغاد"

ترجمتي أو وصفي لم يكن دقيقًا في آخر مقطع للأغنية، فقد قالوا كلمة أكثر فحشًا من تلك، ولكن قلمي الصحفي يأبي أن يكتبها ولا أعلم لماذ؟!

_حدثني عن النوبة، فكل ما سمعت عنها هراء

_نحن نصدر ما يكتب عنا، نحن نصدر الأوهام .. المبهم دائمًا مخيف، ونحن تعمدنا هذا

_ولماذا ؟

_نحن لا نعاني من الإضطهاد حديثًا، نحن في هذا الصراع منذ قرن مضى أو أكتر

_كل تلك المتغيرات وأنتم ثابتون، لم تنفتحوا على العالم الذي أصبح دولتين كبيرتين ومصرين على أن تستقلوا ببضعة كيلومترات شديدة الحرارة

_الأرض، لن تفهموا أبدًا

_أجل، لم أفهم حقًا .. ماذا تعني بالأرض؟

_الأرض .. ، توارثنا تلك الكلمة جيلًا عن جيل منذ ما يقرب من قرنين من الزمان

.. سأوضح لك بمثال

"لو أخذت قطعة شوكولاتة من علبة الشوكولاتة الخاصة بأحد ما في مكان ما في هذا الكون...

ما هي الخبرات التي ستواجه مصير تلك القطعة المقطتعة من العلبة ؟"

_إما أن تؤكل بشكل ما، أو تدخل في صنع شيء آخر



_أي أنها ستختفي في كل الأحوال

_أجل، هذا صحيح

_الأرض هي العلبة ونحن الشوكولاتة، إن خرجنا من هنا سنختفي ولن نعود أبدًا إلى ما نحن عليه

_فهمت الآن، الأرض ... إن بقت بقيتم، وإن ذهبت ذهبتم

_هكذا توارثنا معتقداتنا الدينية، وعاداتنا اليومية، وكل شيء حتى لم يمنعنا هذا من التطور..

أنت ترى ثيابنا منذ قرون

_متى يمكنني أن أقابل زعيمكم لأجري حواري ثم أذهب إلى بلدي؟

_ولماذا تظن أننا سوف نعطيك المعلومات؟ أنت ترى أننا لا نعطي ما نملك لأحد.

_لم أفكر في الأمر .. فأنا مجرد صحفي .. ورئيس الجريدة هو من دبر الموعد

_لا أعتقد أن رئيس الجريدة مصري

_بالفعل، هو إنجليزي الأصل

_لا أدري لماذا ستحصل على المعلومات ولكن ما دام الزعيم وعد فسيفي بوعده

_إذًا متى؟

_من وعد سيحدد الميعاد .. استرح ورتب أفكارك

غرفة مليئة بالأثاث، كهرباء، غاز، أجهزة حاسوب متصلة بشبكة محلية، كل شيء يعمل..



لا يبدو لي هؤلاء الناس كحمقى أو إرهابيين أوغاد...

المجرمون يريدون هدم دولة ليست موجودة، لا يبدو لي ما حدث هنا كمعركة.. أثناء الرحلة.. أنا لا أرى العفن السائل .. بل أشمه، إن رائحته علقت بملابسي

.. العفن ليس هنا ... بل هناك

_ألا تشاركني الرأي أمجد؟

_بلى، جدًا .. الأمر يشبه أن تذهب في موعد غرامي مع ملكة جمال الكون، لتكتشف أنها بلا أسنان أو شفاه، .. الأمر مغاير تمامًا، كنت مستعدًا لتصوير مجازر .. مجاري .. دماء .. أسلحة، لم أر شيئًا .. هؤلاء القوم أكثر تحضرًا من الناس بالقاهرة

_هناك بعض اللحم هنا، أتاكل؟

_أتمنى ألا يكون لحمًا صناعيًا يتعب معدتي، أفضل الأعشاب عليه

_لا يبدو كذلك فهناك دماء .. أعتقد أنهم مازالوا يستخدمون الطريقة القديمة في الذبح والحصول على اللحم

_أين نحن؟ألسنا في مدينة النور ولم نسافر عبر الزمن...

هؤلاء القوم لا يستحقون تحقيقًا صحفيًا ..

بل يستحقون موسوعة كتب ...

هم يشبهون شيئًا لا نعرفه، يحمل سلاحًا من ليزر ولكنه يفضل القطع بالسكين...

_الأمر له علاقة بالعادات والمبادئ حسبما فهمت



يومان في تلك الغرفة نستمتع بأكل غير مصنع وشاي وقهوة طبيعيان، يحملان رائحة قوية غير تلك المياة التي نشربها في القاهرة.

لم يأت الدليل، ولن نخرج بدونه .. نشبه جاسوسان في غاية
البلاهة بحيث لا يوجد غيرنا في الشوارع يحمل بشرة بيضاء ويرتدي ألوانًا غير الأبيض..
لن يثق فينا أحد ولن يتعامل معنا أحد بدون وسيط، وقد اختفى الوسيط

قلبت شبكة ال OUTER NET رأسًا على عقب _إن كان لها رأس_

بمساعدة برنامج أعطاني إياه أحد أصدقائي على الشبكة، يساعدني في البحث على كل محركات البحث ومخازن المعلومات والمكتبات الإلكترونية في آن واحد، ويضيف إلى ذلك جوجل وأوريكاليزم القديمان أيضًا.

لم أجد شيئًا عن النوبة، إما أن هؤلاء القوم لم يصرحوا بالحقيقة من قبل، أو أن فلترة المعلومات التي تتم من قِبل الأنظمة الحاكمة تمنعها عنا!

على كل حال، لن أحصل على شيء إلا من خلال الزعيم والذي سيوصلني إليه المصدر أو الدليل الذي لم يأت بعد.

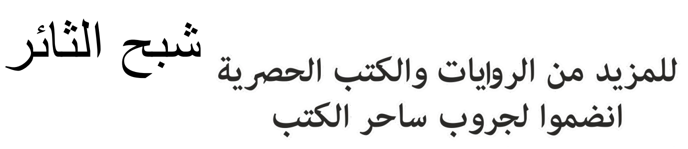
طَرقات صغيرة على الباب أيقظتني من نومي .. كم الساعة؟ تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل

_من؟

_أنا علي، افتح يا أستاذ أحمد

_علي !!! .. المصد ر؟

أين كنت منذ أتينا إلى هنا؟





_آسف، كنت منشغلًا في بعض الأمور، أتيت كي أخبركم أن ميعادكم مع الزعيم غدًا في التاسعة .. سأمر وآخذكما، كونا جاهزين حين أعود.

_أنا جاهز من الآن

_حسنًا .. عد إلى نومك، أمامك يوم طويل غدًا ... وداعًا

_وداعًا

عشرة كؤوس من النازكا .. فنجانان قهوة، وسبعة أكواب من الشاي..

كانت حصيلة أربع ساعات، فلم أنم .. غدًا يومي، سوف أحصل على كل المعلومات أو أعود

بخفي حنين، إما أحصل على المعلومات أو تفوز J.R.C العظيمة بإحدى الإنتصارات...

إنها تقارب السادسة، باقي ثلاث ساعات.. عليَ أن أوقظ أمجد؛ فهو يأخذ الكثير من الوقت في ربط شعره بذلك الخيط الحريري من الخلف، وإرتداء الحذاء الرياضي، يا له من مجهود يبذل في نصف ساعه .. يا له من لعين.

_أمجد.. أمجد .. استيقظ أيها الطفل الكبير

_لا أريد المزيد من اللحم، إتركني

_أي لحم؟ أتحلم بالطعام؟ استيقظ أيها الوغد

_ماذا تريد؟

_أمامنا ثلاث ساعات وسنقابل الزعيم

_" أشار بعلامة نابية" .. فليذهب إلى الجحيم



_استيقظ أيها الأحمق .. هيا

_ماذا تريد أيضًا؟

_سأذهب لمقابلة زعيم النوبة.. هل ستأتي؟

_زعيم ماذا؟ هل عاد المصدر؟

_أجل وأخبرني أنه أمامنا ثلاث ساعات .. هيا احزم أمتعتك

أمجد يقوم متكاسلًا إلى الحمام .. سيستحم أعتقد، فربما لن تتاح لنا فرصة أخرى كتلك.

أفتح طرف النافذة وأتلصص على الشارع الفسيح

خلية نمل كبيرة، الدراسات التي أنجبتها علوم الحشرات في الأعوام ما بين ٢٠٩٩ إلى ٢١٢٠ حللت سلوك النمل بأن كل مستعمرة تستعد فعليًا لغزو العالم.

متى سينجحوا؟ لا أحد يعرف.

هؤلاء الناس يشبهون مستعمرة النمل، هل سيحتلون العالم .. ؟

لا يهمني حتى، سأعلم الحقيقة بأي ثمن، ليس لأنه عملي...

بل لأنني أشعر أنني مغفل، خدعني الإعلام و والصحف.. الOuter net

لن أبقى مغفلًا إلى الأبد .. سأعلم.

سيارة عسكرية، لونها كاكي .. هذا الخليط بين الأصفر الرملي والزيتي...



جميعهم يشبهون بعضهم، لكني خمنت أنه عليٌ .. يرتدي زيًا عسكريًا، تزين كتفيه نجمتان، يبدو أن مصدرنا ضابطًا في القوات النوبية المسلحة.

أغلقت الشباك واتجهت إلى الباب، طرقة واحدة وكنت فتحت...

_أجاهزان الآن؟

_أجل جاهزان

ركبت في الأمام بجواره، الأجواء ساخنة فعلًا هنا، أمجد في الخلف يصور كل شيء...

ننسحب من المدينة، تنخفض المدينة .. تتدنى الأبراج حتى نصل إلى منازل من طبقة واحدة، بعضها من الأخشاب فقط..

تتسع رقعة الجبال، ونعود إلى الجبال، لا أعلم أين نحن بالضبط؟ ولكنها غالبًا قاعدة عسكرية، هكذا يظهر .. أو بمعنى أدق هذا واضح مما لا يظهر منه.

ذكر لي المصدر أن هذا الزي العسكري هو زي الجيش المصري في القرن الواحد والعشرين.

قبل الحرب النووية وال J.R.C

يتدرب الجنود بدنيًا بعنف .. برغم الأسلحة المتطورة التي تقلص الحركة إلى أقصى مدى، يتشابهون بدرجة كبيرة .. وكأنهم توائم لأم واحدة.. وليسوا مختلفين، بين الطوب والخشب..

أشياء ما تشبه الثكنات العسكرية يختلف قوامها...

.. مبني بسيط قاتم المنظر يتوسطها



جنديان على البوابة..

ترجلنا من السيارة ويتقدمنا عليٌ...

يقترب من الجنود و يوجه الكلام بجدية عالية وبحزم

_*^#$#%^#$&^%*&%$^#$@$#^%#$^#%#@

فرد عليه أحدهما بأدب

_^%$@##^&*%%^#@%$

ثم ألقى تحية عسكرية، وفتح لنا الباب.

من الجميل أن يتسنى للمرء أن يقول شيئًا كهذا دائمًا، لا أفهم ما قال ولكن الباب قد فتح ، سنرحم من الحر، إن كانوا من آكلي لحوم البشرفسيستمتعون بنا مشويين على كل حال.

ممر ضيق، أربع غرف على جانبيه لا يحويان شيئًا، لا مكاتب ولا نوافذ حتى..

بوابة خشبية في نهاية الممر، يقف عليها جندي..لم يتبادلوا تلك

اللغة، أو لغة البرمجيات كما سميته..

فقط تحية عسكرية، وفُتح الباب..

لم أر غير نور ساطع، أعمى بصري؛ فالممر شبه مظلم...

الرؤية تعود تدريجيًا..

نفس الوجه الأسمر المتكرر هنا، مع زي عسكري من لون واحد،

سيوف وحمام على كتفه، لا أفهم تلك الإشارات جيدًا، فهي تختلف في كل مكان، و بعض الألوان المسماة بالنياشين على صدره

حيانا في تأدب وجلس على مهل، أشار لنا بالجلوس مع لفظ

" تفضلوا"

_لولا صداقتي بالسيد آدم لما كنتما هنا الآن .. اسمي" عمر "

أمامكما يومان تكتبان وتتجولان حيث شئتما هنا وتحدثان من تشاءا ثم ترحلا

_شكرًا .. يا سيد عمر

حينها قاطعني علي في حزم وقال:

_نسميه الشيخ أو القائد

_شكرًا لك يا شيخ عمر، ولكن مثلما عرفت من علي أنكم لا تنقلون واقعكم للعالم..

فلماذا الآن؟

_أظن أن الوقت قد حان، أتممنا فوق التسعين بالمائة من مشروعنا ومن حقنا كدولة وليدة أن يرى العالم ما نحن عليه

_تسعون لإعتراف دولي إذًا

هذا سهل في نظام عالم منقسم، سنحصل على إعتراف النصف الذي نعادي خصمه بسرعة وسهولة

_فأين إجابة سؤالي إذًا، وما الهدف؟

الإعلام المصري وإعلام الجي آر سي يصدر للعام صورة ما عنا لا أريد الدخول في تفاصيل ولكن ما رأيك إن صدرنا للعالم صورة مغايرة تمامًا، سنفضح الإعلام ولن يصدق لهم شيئًا آخر في موضوعنا...لا أقصد الحكومات، ولكني أقصد الشعوب



_الشعوب لديها ما يكفي من النكبات، لا أظن أنهم سيتحركون من أجل حرب أهلية على بضعة كيلومترات

_بل سيتحركون وخصيصًا في مصر.. لاأتوقع من الجماهير الكثير ولكنهم جديرون بشغل الحكومة وإرباكها على كل لنا حديث آخر بعد إنهاء جولتكما في المعسكر، أمامكما يومين، أنا متأسف لدي أعمال مهمة جدًا...اصطحبهما يا علي إلى أماكن راحتهما ورافقهما طوال جولتهما، وامنعهما من الوقوع في خطأ تصوير أماكن معينة أو الحصول على معلومات معينة.

_أعتقد أنك فهمت

_أجل يا سيدي

تحركنا من مكاننا تلقائيًا، لم أتوقع أن تكون المقابلة بتلك السرعة ..معلومة واحدة وغير جديرة بالنشر، لا بأس ..يومان قد يحدث ما هو غير متوقع خلالهما.

يصطحبنا علي إلى أماكن نومنا

.(#@$^&^*#$@#^#%$&*)

أسترق السمع إلى تلك الكلمات، لا أفهم .. لا أدرك، لكنها تخترق عقلي و تشتت أفكاري.

الثانية عشرة بعد منتصف الليل، لم أستطع النوم .. الوقت ضيق،

أعتقد أنه علي تفقد المكان، لا ليس الن، الوقت متاخر، عليَ أن أحذر هؤلاء القوم لا يعرفونني ولا أعرفهم..

وأحمل جنسية أعداءهم...

لا يمكنني حتى توقع رد فعلهم ، أعتقد أنه يتأرجح بين التعنيف والحرق حيا...



أصوات الصواريخ المنفجرة تخترق الهدوء .. لا أعتقد أنه وقت مناسب للتدريب.

أشعر بجلبة في الخارج، علي الخروج الن، أمجد

إنه نائم، سأصور أنا...

آلة التصوير تعمل، وضعية الضبط الليلي .. تصور بتذبذب الشعاعات الساكنة..

أستطيع تمييز طائرات ال J.R.C. فى السماء

سواد الليل لا يخفي خليط اللوان البيض والحمر بها،

ماذا يحدث؟ إنها ليست غارة

($#%#@%$@^%*#^@#&%)

ليس مجددا ..أنا لا أفهم هؤلاء القوم

يقصفون الشريط الحدوديالجي أر سي، نعم تذكرت، لقد أخلوا القصر من أجل هذا...

تستطيع أن تميز بعينك المجردة أضواء المحركات، ما بين خمسة عشر إلى عشرين طائرة...

إلى كل من ينظرون إلى أعلى...

و كل من لا يعرفون بعد ...

لم عليهم ان يفعلوا ذلك؟

فرغت خلية النحل فجاة لا أجد أماميأو خلفي أحدا،



تراجعت الفوضى، هناك نظام خفي يتحكم .. و لكني لا أراه، أهو موجود حقًا؟ كنت منهمك في عرض القنابل الملونة ولم أرهم، أبتلعتهم الأرض؟ أم هو فيروس قتلهم، ولكني بينهم ومازلت حيًا، أم هو مخصص لقتل ذوات اللون الأسود فقط.مرت ثانية، الرض ترتجف، هناك من يصطاد الفراشات الحمراء،

المدفعية الرضية ترد على الهجمات، لم تكن هجمات..

الطائرات تضرب داخل حدودها، ولكن القوم قرروا الرد..

كانت هناك يافطة مكتوب عليها

" سنحمي الرض .. حتى لو لم تكن أرضنا "

بدأت الفراشات تنسحب تدريجيا، توقفت الأرض عن الرتجاف

إنتهي كل شيء بسرعة كما بدأ .. ليس هناك خسائر، فلم تقم المعركة من الساس...

ولكن أين الناس؟.. لم يظهروا، هل سواد الليل كسوادهم؟

لو كنت في فيلم كوميدي هابط، لظننت أنهم خلعوا ملابسهم ليتخفوا في الظلام.

إرتطمت بأحدهم.._أمجد ...ماذا تفعل هنا؟

_أمارس هوايتي المفضلة

_حسبتك نائما..لقد إلتقطت لك عدة صور ستعجبك ههههه

_لا أظن، فلا يوجد ضحايا، لا دماء، لا إثارة

_لعنك الله، أتريد دماء من أجل صورة؟

_بل أريد صورة من أجل الدماء



في عالمنا الن الدماء ليس لها ثمن سوى تلك الصورة التي تمل فضاء الوتر نت، الدماء البشعة ثمنها مائتين من الجنيهات، والأقل ثمنها مائة جنيهًا، والأصغر خمسون، هذا هو معدل الأسعار العالمي للدماء الآن.

أرعبني حديثي مع هذا المجنون، إنه واقع وأنا أعيش فيه، ولكنه يختلف عندما تستقبله مستقبلاتك العصبية

حجم النتهاكات الدولية في القرن الماضي مرعبة، لقد أصبحت الدماء كثيرة لتلك الدرجة التي تفقد فيها أثمانها .. إنها نظرية توازن السوق بين العرض و الطلب.

كلما زاد العرض رخص الثمن، بدأ النسان يرخص منذ القرن الواحد والعشرين، بدأت السوق العالمية للدماء بالنهيار الحقيقي

وصلنا إلى ما قبل الحرب النووية بأن دمك يساوي ثمن الرصاصة، وبعد التطور النوعي في السلاح البيولوجي، واللكتروني، حيث أصبح السلاح الناري والنووي بلا ثمن .. فأصبحت دماءنا بلا ثمن أيضا..

قضيت ليلة أحاول فيها النفاذ إلى شبكة الأوتر نت..

أظن أن هناك تعتيم إلكتروني على المنطقة .. هذا طبيعي، اتصلت بعلي أسأله كيف يمكنني النفاذ إلى الشبكة؟ قام عليٌ بالشرح، فتحت الخزانة الخشبية، سلك أحمر اللون متوسط السمك، ما هذا الشيء؟ لا أعلم، قال لي أن أوصل طرف السلك الذي يحمل خاصية اليو إس بي بالجهاز، والطرف الآخر يحمل نوعًا من الوصلات شبه المؤكسدة، لا أعلم اسمه ولكني أظن أنه قديم، قمت بتوصيله في مكان مخصص له في الحائط مكتوب عليه إنترنت...

الن فهمت .. هذه هي الشبكة المحلية القديمة، صعبة التجسس فأنتم تتحكمون في من يدخل وفي من يخرج.



قمت بالتوصيل على النحو المبين في المكالمة مع علي، الن أنا متصل على الشبكة المحلية..

و لكن أين ال OUTER NET !!

تقوم الشبكة المحلية عن طريق بعض البرمجيات المتطورة بإنشاء عدة خوادم رقمية وهي تنفذإلى الأوتر نت...

إن كنت موضوعا داخل شبكه فالمر يشبه من يخرج من نفق ثم يهدمه، سيقف من يحاول إختراقك أمام الباب، يفتح القفل فيجد أمامه عشر ممرات تتداخل في شكل لا متناهي، يدخل فيها وإن حسبنا معدل الحتمالات التي يسهل عليه سيصل إلى خمسة وثلاثون ألف إحتمال ومائتان وأربعة و خمسون، و في النهاية سيعود لذلك الباب المغلق.

هكذا شرح لي المر .. لم أفهم بدقة، لعلكم فهمتم .. لا يهم.

أنت الآن على الشبكة العالمية ... ظهرت رسالة الأوتر نت.

ماذا أفعل هنا؟ كل تلك العمليات المعقدة أربكتني، لقد نسيت ماذا أفعل.

آآه ..تذكرت .. كان يجب أن أحفظ الصور والتقرير لتلك الليلة على الأوتر نت...

حتي إذا ما تعطلت الجهزة أو احترقت أو حدث أي شيء، تكون معلوماتنا في أمان .. حسنا لنحاول.

لا شيء يمر، عطل في الشبكة .. أعتقد ذلك، لنجرب إذا أنزلنا شيئًا على الجهاز.

إنه يعمل، أعتقد أن الشبكة تمنع خروج المعلومات

من يضع تعتيم إلكتروني؟ أعتقد أنه يفعل ذلك .. و لكن ماذا إذا حدث شيء؟



الكتابة .. علي أن أكتب كل شيء، لو دمرت الصور، سأجعل الرسام يرسمها من وحي ذاكرتي.

علي النوم الن، غدا يجب أن أسابق الزمن .. سيكون يوما طويلا طويلا جدا..

أمجد نائم، أحسده على هدوء أعصابه أو بلفظ أدق برود أعصابه،

قامت الحرب وهو نائم فاستيقظ، فانتهت .. فعاد للنوم، وكأنه كان يشاهد إحدى برامج التليفزيون..

أعتقد أن قرصين من ROD100 .. سيكفيان لأنام حتى الصباح

هناك جلبة في الخارج، ال ROD100 يعطل خصائص جسدي،

إنها الخامسة صباحا.

لا أقوى على الحراك، اجتهدت في فتح عيني، الجلبة تهدأ قليلا .. لا أسمع طلق النيران .. ما الذي يحدث بالخارج؟ أمجد نائم كالعادة،

أتحسس طرف السرير بيدي كإختبار سريع لقوى تحكمي في أطرافي، أزحف بجزعي قليلا .. أحاول أن أزيح قدمي خارج السرير، أعتدل .. أضع قدميَ على الرض، أشعر ببعض الدوار، أحاول إعادة السيطرة على جسدي..

أتحسس آلة التصويربيدي، فلا جندي هنا بدون سلاح، أحاول المشي، أنجح، أخرج من المبنى.. ضوء النهار مازال خافتا في غياب الشمس.

ماذا يفعل الجميع بالخارج؟ صلاة ! أتلك صلاة ؟ .. إنهم يصلون إذًا.

لم أر هذا الجمع بذلك العدد يصلي معا من قبل، الجوامع العملاقة في القاهرة تحولت إلى أماكن مبيت للمنكوبين.. الدين؟ ماذا يعني الدين؟ هناك خانة تعريف الهوية تحمل ذلك الاسم ، الدين : مسلم /مسيحي / يهودي /وهابي .. تلك هي



السماء المنتشرة في تلك الخانة، ولكني لا أرى فرقا .. لا ألحظ هذا العقد السمائي في تصرفات الناس هنا،

فالطعام والنوم والشرب الذين أصبحوا بالكاد تحصل عليهم، كفيلين بإلهائك عن أي شيء.

لم أستغرب المنظر إطلاقًا، منذ أتيت وأنا ألاحظ أنهم يحافظون على عاداتهم القديمة؛ لذلك لم أستغرب، صورتهم وجررت قدمي عائدًا إلى الغرفة ..
سأحاول النوم على كل حال.
طنين، صداع .. طنين عال جدا، إنها السادسة صباحا .. الطنين صادر من مكبرات الصوت، وقع القدام يزداد برتابة، عيناي تريان جيدًا..

أعتقد أنه الطابور العسكري أو ما يسمونه .. لا يهم .. بدأ اليوم الول

أمجد مستيقظ، هذا جيد، أراه يرتدي هذا الجينز القصير و تيشرت أبيض مذهب.

تلك القبضة المميزة للأزياء الليبيرالية على ظهره، مازال يحاول تمشيط شعره، أو بمعنى أدق... بعثرته، يتأنق في المرآة كمن هو ذاهب إلى مقابلة، لا يهمني هذا المهووس على كل حال.

إرتديت ذلك البنطال ذي الجيوب الكثيرة، له قماش لين مناسب للحرارة، حذاء رياضي ماركة أديدس القديمة، الفقراء من أمثالي يعتبرونه كنزا من نوع خاص.

أحضرت كل شيء، مسجل صوتي .. موجود، قلم ومفكرة .. موجودان،آلة التصوير..موجودة.. النظارات .. موجودة، كل شيء يعمل، أنا جاهز .. و لكن لم

لا أعلم من أين أبدأ، ولكن الاجابة على السؤال قد تكون في تلك الساحة، حيث تكون الشمس والعرق والجنود والأسلحة

ماذا سأجد هنا؟ لا يهم، سأذهب لعرف بنفسي



_أمجد ..أنت جاهز؟

_لاأدري .. أشعر بصداع

_إذا علينا زيارة والدتك..ألن تكف عن الصبيانية؟

_ماذا بك؟ .. أنت سألتني إن كنت جاهزا

_حسنا، علينا البدأ الن .. أية أفكار
_لا ..أصور فقط

_حسنا...هذا مشجع حقا

من الواضح أنه لا طابور، لا أحد بالساحة، علي بإنتظارنا على الباب .. حيانا تحية الصباح.

_من أين تريد أن تبدأ؟

_صدقني.. لا أعلم .. ماذا تقترح أنت؟

_الأمر محير وهو لا يهمني، ولكن لو كنت مكانك.. فلدي موعد بعد يومين مع القائد، مكتبه بالمنتصف؛ إذًا سأبدأ من الخارج للداخل.

_فكرة جيدة، ولكن لا أدري ماذا أفعل هنا؟ يجب أن أتحدث مع الشيخ وأرحل.. فلم اليومان؟ ولمَ التجول ليومين؟ شخصيًا لا أعلم، ولكني أثق في حكمة القائد، بالطبع لديه أسبابه وأهدافه أيضًا، وسنعلمها إن فعلنا... لنبدأ من الخارج إلى الداخل إذًا.





البوابات...

توجهنا إلى البوابات، جنود الحراسة، كابينة مضادة للرصاص والشعة الليزرية المتفجرة، لاشيء خارق للطبيعة هنا، سوى الإستنساخ الغريب لهؤلاء البشر...

جلست معهم و تبادلنا الحديث حول رؤيتهم عن القاهرة، ودواعي النفصال من وجهة نظرهم، لست معهم قط، قضينا اليوم عند البوابة والخنادق الشمالية، مضمات الصواريخ.

سمعت قصصا كثيرة عن الضطهاد ضدهم وسنوات الفقر وحكايات الجداد، الجميع يعلم هذا، هم يرون أن القاهرة مجتمع متحضر أكثر منهم، لديهم الكثير من المال وطفرات في التكنولوجيا وأشياء أخرى، وأن لديهم نظام حكم
لا أعلم من أين أتوا بكل تلك التفاهات، ولكن أستطيع التخمين .. كل ديمقراطي. هذا الكذب و النفاق

والتزوير والتجميل لا يوجد أو يجتمع إلا في وسائل إعلام الجي آر سي.

وشعار القبضة كل الفضائيات والذاعات والمواقع التي تنتهي بمقطع "النصر" التي تعلوها جمجمة تحترق ويحيط بها المنجل وذلك السلاح الناري الذي لا إذكر اسمه مع نجمه صفراء لامعه فى المنتصف خلفها شمس.

انتهي اليوم بالكثير من الكتابة والوراق، الصداع ما زال يقتلني

إنه الكوب السادس من الشاي عقب ثلاث فناجين من القهوة، المذاق هنا مختلف، تستطيع أن تقول أنه طبيعي أكثر..

علبة سجائر من النوع روك، أصبحت أدخن اثنتان فقط في اليوم، لا تباع هنا ولا أعرف متى أعود لشتري.

علي النوم مبكرا جدا، غدا سيوقظوننا في السادسة كما حدث اليوم،



أمجد لا يزال يعبث بصوره، التقط العديد اليوم، صور بلا دماء .. لا أعلم متى علقت تلك الفكرة برأسي، أصبحت الصور مرتبطة بالدماء عندي .. آخر حديث لنا حول ذلك الموضوع كان بشعا

_أمجد .. أتعتقد أن ذلك مفيد؟

_لا أفهمك ماذا تقصد؟

_ما فعلناه اليوم؟

_لا أعلم، على المستوى الذي يخصني لم تكن الصور ذات قيمة عالية

و لكن أنت تعلم أي صورة من هؤلاء القوم لها ثمن ..فهي نادرة

_عندك حق، كلامهم يفضح كذب السلطة .. كلامهم يفضح تزوير التاريخ

_ألم يساورك شك أنهم يكذبون؟

_فكرت في ذلك، ولكن نغمات أصواتهم صادقة .. أستطيع تمييز الكذب في صوتهم.. لقد كادوا يبكون يا رجل

_لا يهمني، أود إنهاء عملي لأرحل .. أريد النوم

_سأنهي سيجارتي وأنام أيضا

_حسنا..أطفئ النور الن إذا

_سأفعل .. تصبح على خير

الطنين، عقلي استفاق تلقائيا، لقد اعتدت الوضع .. نفس الخطوات الرتيبة.



أمجد يرتدي ثيابه ، لكني أعلم من أين أبدأ، حظيرة الطائرات، المشاة، الطيارين الأكثر ذكاءً هنا .. هذا واضح، هم الوحيدون حتى الآن الذين يعلمون حقيقة القاهرة .. و منهم من ذكر

لي أن بلاد j.R.C أكثر تقدمًا .

وأنهم يستخدمون القاهرة أسوأ استغلال، لم أفهم بدقة قصده، ولكني أيضًا استمعت لنفس حكاياهم عن الإضطهاد والإهمال وحلم الإنفصال.

هل يحفظون هذا الكلام، كل الحكايات ذات طابع خاص ولكنها تتشابه .. إما نسبة صدقهم فيها مائة بالمائة، أو بينهم نوع من أنواع التخاطر.

هناك في القاهرة منذ زمن ألعاب تعتمد على التخاطر تلعبها بعقلك، دون الحاجه لذراع تحكم، وسرعان ما تحولت الألعاب لأسلحة حربية.

لا يختلف الأمر كثيرًا بالنسبة للمشاة، غير أنني اكتشفت أنهم يميزون بين تلك النسخ المتشابهة من الجبال حولنا ويستطيعون المرور منها ودخولها وخروجها...

أمامنا ساعة ونقابل القائد، أو الشيخ كما أناديه، فهو ليس قائدي أنا.

لحم الجمل المشوي لذيذ، منذ زمن وأنا آكل اللحم الصناعي .. أكره ذلك الشيء، طعم اللحم هنا أطيب.

لاتوجد هنا خمر .. فهي حرام تقريبًا، أستمتع بسيجارة أخرى من علبة الروك خاصتي

_هل أكلت جيدًا؟

_نعم، لقد امتلأت

_موعدنا مع القائد الآن، هل أنت جاهز؟



_لا أظن، أحتاج إلى النوم .. صداع مريع، و لكن لا مفر على كل حال

_حسنًا.. لنذهب

وتبادل بعض الكلمات مع من حوله من طراز

($@$#$##^&*#$%@%*&^)

أناس طيبون حقًا..

ذلك المبنى .. نفس الحارسان، عليٌ يتحدث معهما

-$#@^%#&^*&(*

-^&$^%@#!*&^*_)+)&*&%#

وتحية عسكرية في أدب .. انفتح الباب ودخلنا

قام علي بالتحية العسكرية، وردها الشيخ، حيانا وأشار لنا بالجلوس مع لفظ "تفضلوا"

ينظر إلينا ويبدأ في الحديث مع ابتسامة وعينين لامعتين

_اليوم هو الأخير، قضيتم معنا يومين .. تحدثتم مع الجنود

هل استفدتم شيئًا؟

_القليل من المعلومات وهي كافية، علمتهم وعلمت أحلامهم،ولكن الدولة .. لم أعلم عنها شيئًا

_ولذلك أنت هنا، أنا سأخبرك بكل شيء .. أتُفضل أن أسرد أم أن تلقي الأسئلة؟



_لايهم، ولكن فلتسرد .. أظن أن هذا مريح أكثر، حتى لا أسأل عن أية ممنوعات

قلتها بضحكة مني، قبلها واعتدل .. نظر لنا في شيء من الحزن لا لاأعلم من أين أتى فجأة ثم استكمل الحديث...

_الأمر ليس من هنا، ليس لدي تاريخ للبدأ، ولكني أعتقد أنه منذ قرون مضت

.. عانى قومي الكثير من الإضطهاد والظلم، تاريخنا حافل بهما

كنا دويلات هنا حول النيل، إتحدنا في عصور إلى مصر، ثم انشق بعضنا، فانفصلت السودان...

وبقينا نحن ومصر، وانقسمت السودان على نفسها مرة واثنين .. صارت ثلاث دول الآن..

ومازالت بلاد الذهب في مصر..

تلك الصورة المنتشرة في عصر ما قبل التكنولوجيا الأولى .. عن فتاة سمراء جذابة الملامح، يغطي الذهب ذراعها وحلقها وصدرها، وسلاسل الذهب تمتد من شعرها المعقود إلى أرجلها، وحزام الألماس الأبيض يضيء في حضرة سمرتها القاتمة، تلك

قد تغيرت كثيرًا، بعد عصر التكنولوجيا الأولى، وبالتزامن مع ظهور أولى عناصر التكنولوجيا، وتلك الطفرات التي حدثت، لو كنت قارئًا جيدًا للتاريخ، لفهمت قصدي بوضوح.

لقد هجرنا أرضنا باسم الوطن .. سلبوا ذهبنا باسم المصلحة العليا للوطن، قُتلنا و سُجنا .. مات منا من مات، ومن بقي حيًا حمل القضية، من حملوا النعوش لم يموتوا.



ورثنا الأرض والغضب والكره والقضية .. ورثنا كل شيء من الملامح، للعادات، للطعام، للصلاة، للروح .. استنسخنا أنفسنا عبر الزمن، لم نفترق عن أحد، لم نسمح بهذا ، انتفضنا كثيرًا .. لم نكن ننوي الإنفصال، ولكن السلطة أجبرتنا، لن نستطيع أن نعيش معكم، لا نريد سوى حقنا وحق أجدادنا .. لا نريد سوى الأرض.

لم أنس عينيه الزائغتين بسبب تجمع الدموع فيهما، حشرجة أنفاسه، إختناقه أحيانًا، كل شيء .. لم أنس كل شيء، سكت... فسكتنا، الموت والقهر والظلم لهم حضور غريب .. أينما حلوا تصمت، لا تملك حلًا آخرًا .. يجبراك على أن تسكت، فماذا تقول...؟

أمجد يصور عدة صور .. يسكن بجواري، استجمعت بعضًا من قوى لساني الضائعة، حركته وسألت:

_وماذا بعد الإنفصال؟! لنفترض أنكم فزتم .. هل لديكم مقومات قيام الدولة؟

هل تفهم قصدي سيدي؟

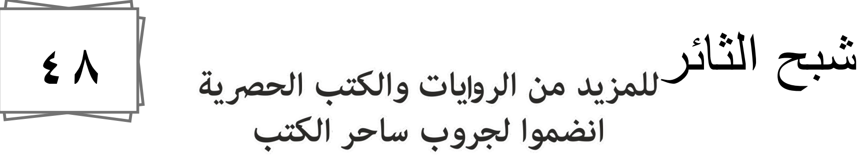
_نعم أفهم قصدك .. وأدرك أن قوة ملاحظتك ضعيفة، لقد قضيت يومين في البلدة، ويومين في المعسكر .. ألم تلاحظ أننا دولة حقًا؟

نحن دولة ولكن غير منفصلة .. دولة غير معلنة، كل ما ينقصنا إعلان وإعتراف دولي..

لدينا مواردنا الخاصة .. أسواق السلاح الخاصة، مدارسنا، مناهجنا، جامعة، مساكن، نظام حكم، مجلس شعب أو ما يشبه مجلس الشعب عندكم .. ولكنه حقيقي..

لدينا كل شيء سوى الإستقلال الرسمي والكامل ... إنه الحلم،

حلم "بلاد النوبة".





كررها ثلاثًا .. لم أسمعها في المرة الثالثة، فصوت الصواريخ المضادة للطائرات قضى على كل شيء.

هرولنا جميعًا نحو الساحة طائرات الجي آر سي دخلت نطاق الحي

نطاق قذائف الصواريخ، الصواريخ السوداء تهاجم الفراشات الحمراء .. تمتاز تلك الفراشات بالرشاقة، تراوغ في نعومة،

أُصيبت عشر مقاتلات، ولكن الباقي استمر، عددهم نحو خمسين طائرة...

المدافع أصبحت تعمل، طائرات الإرينا ناصعة البياض بذيلها الأسمر تظهر في السماء، إشتباك جوي .. إنه كذلك، الوضع أشبه بألعاب الفيديو القديمة، لا شيء فوق رأسك .. ولكنك ترى كل شيء،

أمجد سيجني ثروة من الصور، طائرات تسقط وطائرات ترقص، الفراشات يبدو أنها تُهزم، وأخرى تبدو منتصرة،

لا أفهم ما يحدث، أو أتوقع النتائج ولكن الصوت بشع

حقًا، لا صوت يعلو فوق صوت المعركة..

المعركة فوق رؤوسنا الآن .. مشاجرة طائرات بمعنى أدق،

الحرب تدنو، هناك ما يسمى بزحف بري، القوات المصرية تحاول اقتحام القاعدة..

النسخ السوداء تدافع ببسالة، أيد مقطوعة .. قدم .. ربما رأس أيضًا، جثة مشوهة، انفجارات ... أصوات تتداخل تفقدك القدرة على السمع ...



هذا آخر ما رأيناه، ونحن نشق طريقنا في إحدى سيارات الجيب المتنكرة نحو الجبل، لقد هربنا .. أو أُخرجنا من المعركة، قيل لنا أننا سوف نتجه إلى الفيوم ومنها للقاهرة.

لم أنم ليلتها في الجبل، لا تكنولوجيا، لا شيء، شعور بالضياع والغربة.

لا أفهم، رأسي سينفجر صور .. (*^*%^&@%$#$) أصواتهم تشتتني، الجثث والدماء .. لها رائحة مميزة لا تخرج من أنفك، ليست سيئة بدرجة تجعلك تتقيأ أو جيدة فتنتشي، بل أنت تشمها فتشعر بالموت .. تبقي ولا تزول، تبقي في أنفك وذاكرتك، ولا تتركك،

ما مصير من تحدثت معهم؟ .. الشيخ .. هل مات؟ .. هل هو الآن يقاتل؟

في الطريق إلى الفيوم لم يعترضنا أحد .. تغير السائق إلى شخص أبيض .. حتى لا يلفت النظر.

لم تصلني أخبار حول ما حدث، ولم أتجرأ على فتح الإذاعة أو شبكة الأوتر نت لكي أفهم .. لم أتجرأ .. وعدت للجريدة وسلمت التقرير .. ولم أفهم بعد.

السيد آدم يستقبلني بابتسامة، صوت التليفزيون يعلو شئيًا فشيئًا

إنه هو .. بنفس الجلباب الأبيض، العينين الزائغتين، الغضب، حركة يديه الإنفعالية.

لم أدرك، انتصر .. انهزم .. لم أفهم، سمعت آخر ما قال .. جملة لا أعتقد أنها له.. استنسخها من أحد الشعراء القدامى .. سمعتها وهزتني من الداخل...

"نحن أحياء .. وباقون وللحلم بقية"





فهمت من السيد آدم أنهم انتصروا، لم يهزموا .. حافظوا على أرضهم، وبعد انتهاء العدوان أعلنوا استقلالهم...

بلاد (U.A.) ...أعلنت اعترافها بهم بعد ساعة من إعلان الإستقلال

_الملف الذي جنيته في رحلتك سيكون أكبر سبق صحفي في العالم .. أعتقد أنك ستجني ثروة أيها الرجل الغريب ... هكذا قال، وأضاف أنه عليَ أن أذهب للنوم لأني أبدو متعبًا.

ساعة ونصف الساعة في الطريق ثم ربع ساعة بالقارب، أصل إلى تلك الشقة اللعينة..

غرفة بداخلها حمام، وغرفة نوم، ومطبخ في الردهة ..اتجهت إلى الحمام...

خلعت كل ملابسي، وتركت نفسي تحت المياة لخمس دقائق دون حراك.

إرتديت الشورت الداخلي دون استخدام منشفة، استلقيت على السرير على شكل حرف (إكس) كبير، أو كأنني برص عملاق سقط على السرير، نمت بعمق .. لدرجة أنني لم أشعر أنني نمت بعد.





الفصل الثاني

"إنفجروا أو موتوا
رعب أكبر من هذا سوف يجئ
لن ينجيكم أن تعتصموا منه بأعلى جبل الصمت
أو ببطون الغابات"

"صلاح عبد الصبور"



"شبه جزيرة شبرا"

من الماء خلقنا
من الماء الوجود
من الماء الحياة
من الماء الخلود
من الماء ارتوينا
من الماء سنموت

(القاهرة - ٢١١٠)



صباح هادئ في إحدى شوارع شبرا النائمة، ضرب التضخم السكاني المنطقة المياة شبه مقطوعة كليًا، منذ زمن، لا شيء يعمل بكفاءة هنا، شبكة الغاز ..، شبكات الإنارة ضعيفة، شبكات الصرف الصحي أغرقت أغلب الشوارع ، و برغم كل هذا .. صباح هادئ...

صباح هادئ وأنت تستيقظ على عبث ملائكي في خصال شعرك،

تفتح عينيك لتجد عينان زرقاوان وشعر كستنائي وشفاة حمراء تقبلك..

تستشعر فتجد يدها في شعرك، وعلى صدرك، تضمها فتنسى .. تنسى العفن، وتنسى الوطن، وتنسى نفسك بداخلها، حينها يكون الصباح هادئًا .. حينها يكون الكون جميلًا.

جسدها النحيل يُمكنها من أن تتداخل مع جسدي، تلف رجليها حول رجليَ، وذراعيها حولي، تنام على صدري كطفلة، وتهمس أحبك.. أذوب فيها وأنصهر،أتحرر من ملابسي، من جسدي، من روحي، أصير طاقة تسافر جسدها النحيل داخلها..تستقر داخلها، نموت عشقًا..فيحيي الحب الوجود. فيمكنها

لم يمرعلى زواجنا أشهر، كانت زميلتي في الجامعة، لم أتصور أن نتزوج .. أو بمعنى أدق أن أتزوج، كل شيء كان صعبًا، ولم يكن هناك شيء بيدي، إنقلب كل شئ في سنتين، أصبحت أكثر جمالًا .. وأصبحت أنا أكثر رجولة، حصلت على تلك الشقة بالكاد بعد وفاه أحد أقاربي...

قلت لها أحبك .. قالت وأنا أيضًا

أتمنى أن تكوني لي .. وأنا أيضًا

سأعيش من أجلكِ .. وأنا أيضًا

أليس لديكِ رد آخر؟ ..... صمتت وتبسمت فاستضاء وجهها واتسعت زرقة عينيها كبحرٍ صافٍ في مده...



نغزتان زادتا وجهها جمالًا، "أعشقك منذ زمن" حركت شفتاها فلم أقدر على السكون ... تكلمت همسًا

فكنت في حضنها ساكنًا، غير عابئ بكل الوجود..

كنت عند أهلها بعد أيام، تأنقتُ، أخذتُ هدية وذهبت للقاء والدها.

_أحمد....هذا هو اسمي، تخرجت للتو من كلية الصحافة بجامعة القاهرة، أعمل في جريدة الحدث بوسط القاهرة، مرتبي ليس كبيرًا ولكنه جيد كبداية، لدي شقة بحي شبرا، صالة، حمام... كل شيء جاهز من متطلبات الأثاث... كان هذا ما ذكرته...تحدثنا عن الأصل، الزواج، الأصول، المجتمع، الوصاية...

شعرت بارتياح، كان والدها باحثًا سياسيًا معروفًا للعامة، رجل مثقف متفهم يعرف صعوبات الحياة.

_أتحبها ..؟

_أجل أحبها

_اسمها هبة .. وكانت آية في الجمال

اسمها هبة .. وكانت هبة من السماء

اسمها هبة أيها الطبيب..وكانت كل ما لي في الحياة

اسمها هبة ..وكان الجميع يحسدني عليها

اسمها هبة وماتت وتركتني وحيدًا

_أتتذكر ما حدث؟



_التفاصيل .. التفاصيل تأكل عقلي، لم أستطع نسيان شيء .. المياة أيها الطبيب أكلت كل شيء، أذكرها جيدًا، إلتهمتني .. لم أكن أنا .. كانت روحي، المياه قتلتني .. ليتني كنت أنا، أذكر كل شيء .. حتى الحرب أذكرها .. الدمار، الدماء، أذكرها لأن والدها أخبرني وأخبرها، أذكرها لأن القصة تتعلق بها.

_إذًا إحك لي .. أتستطيع؟

_اسمها هبة مختار، وكل من رآها كان يحسدني عليها

اسمها هبة مختار أيها الطبيب .. ماتت وتركتني وحيدًا

اسمها هبة مختار .. وكانت ملاكي الحارس

_من أين ستبدأ؟

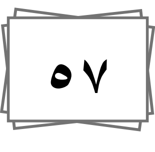
_الحرب .. الحرب هي السبب، قال لي حافظ على هبة يا أحمد .. العالم يتوحش و سيأكلكم، وذكر لي شيئًا عن حرب ما قامت ونحن أطفال أو لم نولد بعد .. الحرب .. قتلتها بعد اثنين وعشرين عامًا من إنتهائها.

اسمها هبة مختار أيها الطبيب .. وكانت كل ما أملك..

_فلتهدأ يا أحمد، لتنم .. سأترك لك ورقًا وأقلامًا، اكتب ما تريد .. أعلم أنك صحفي .. فلتكتب، قد يكون هذا هو علاجك الوحيد، أخرج ما في صدرك، تذكر واكتب كل شيء... هذا ما قاله الطبيب فكري حينها، كنت قد وُضعت في مصحة نفسية بعد موتها...

بعدها بثلاث سنوات بالفعل شفيت، وقرأت أوراقي..

سأضع لكم نسخه لتقرؤها.





الورق...

اسمها هبة مختار وقد رحلت وتركتني وحيدًا

اسمها هبة مختار .. وكل من رآها كان يحسدني عليها

اسمها هبة مختار .. وكانت كل ما أملك.

الحرب..حكى لي والدها عن الحرب، أتذكر العام..ألفان وثمانية وثمانون على ما أعتقد، لم أكن حينها صحفيًا سياسيًا، كنت صحفيًا فقط، وكنت أحبها..كنا في بيتهم نتابع تداعيات أزمة أوربا الشرقية.

حكى لنا عن عصر ما قبل الحرب حين كانت أمريكا تحكم والعالم يطيع، لم أفهم بدقة ..ولكنه وضح لي الأمر..

حكى لي عن مصر التي لم تكن جيدة قط، حكى لي عن عالم ملوث بالدماء، حكى لي عن إنقسامات وحروب عربية .. حكى لي عن سباق نووي بدأ منذ قرابة قرن من الزمان .. هنا بدأ الجي آر سي..

كانوا دولًا عظمى ولكن ليس مثل القطب .. ليس مثل أمريكا...

تجمعوا... الصين بشعبها واليابان بقوتها المالية والتكنولوجية وروسيا بخبرتها العسكرية..تجمعوا وكونوا الجي آر سي.

اندلعت الحرب نحو ثلاث سنوات ...وزادت مواردها

حلف الناتة أصبح ال(U.A..)



وهناك نزاع دولة الأمريكين والأوربين ضد الشرق الأقصى، يتنازعون في أراضٍ غير أراضيهم، الجي آر سي اقتلعت مصر.

وال U.A ..

أخذت الخليج..الأحمر يغازل إيران، والأبيض يداعب الهند

الجميع يجري والجميع يقفز .. اشتعلت الحرب، ولم تهدأ..

تهديدات وتصريحات .. إيران تتسرع، لطالما كانت ساذجة .. ضربت صاروخًا يحمل رأسًا نوويًا، هكذا قال ..

أتذكر ضحكته الساخرة عند لفظ الجملة " رأس نووي" وقع في اليونان، أفنى بلدة بالكامل.. لم يقتل الصاروخ أحدًا، لم يقطع ذراعًا، لم يهدم بيتًا، بل أفنى كل شيء... حوَله لرماد..جُن جنون البيض.. ال يو أيه، إنقلب كل شيء في أيام..الجي آر سي يرد، لا يهدأ...حرب نووية حدثت بالصدفة، قتلت نحو ملياري شخص على مستوى العالم...وإنتهت فجأة! وكأنما الأرض قد ارتوت وشبعت من الدماء، توقفوا..وضعوا الأسلحة جانبًا، تجمعوا وجلسوا تحت سقف منظمة ال (وان ورلد) ... قسموا الدول والنفوذ.

شحنوا السلاح لكل بقاع الأرض، لو كنت تنظر من الخارج .. لرأيت نصف العالم قد اكتسى بالأبيض والنصف الآخر بالأحمر، الأحمر فاز.. هكذا قالت الإحصائيات .. والأبيض أيضًا فاز .. الجميع يفوز من وجهه نظرهم.

ذاب العالم ليصبح دولتين ال J.R.C وال U.A

انتهت الحرب ولكنها لم تنته .. ظلت مشتعلة في غلافنا الجوي .. ظلت تعيث في جيولوجيا الأرض .. ظلت تراود الغلاف الجوي عن نفسه، ظلت تقتل الأرواح الهائمة في الفضاء، تحركت الدول لمنع الكارثة التي سحقوها، الجي آر سي بجوار ال يو أيه في المؤتمرات، حضرت إحدى تلك المؤتمرات،



تحدثوا عن تحرك عالمي... خطط دولية، قطبين على وشك الذوبان، مدن تختفي وفيضانات... وقتلى، لم أفهم...

كل دولة أمنت سواحلها بعوارض أسمنتية وفولاذية، كل دولة أخلت المناطق المتوقعة الإصابة بموجات المد

إلا نحن .. مصر دائمًا آمنة، لم تضع العوارض ولم تخل المدن، لا إخلاء ولا عوارض، حدثني والدها عن تمويل كبير من الجي آر سي لتنفيذ الإخلاء وإقامة العوارض، لا أعلم أين ذهب؟

كنا في السينما .. إحضنتها .. قبلتها .. وعدتني بأن نبقى معًا للأبد، خرجنا... تجولنا...

سواحل الهند آمنة أيها الطبيب، الكاريبي آمن، إستراليا آمنة .. كلهم آمنون، ونحن كنا كذلك .. لم أفهم لحظتها ومازلت لاأافهم، متى حدث ذلك، كنت ممسكًا بيدها الصغيرة، وأنظر في عينيها.

_أحبك

المياه تخترق الغابات الأسمنتية، جذبتها وجريت، لم أرد .. قالت أحبك لم أرد .. نجري، المياة تجري ونحن نجري .. لا أفهم.

_هبة.. أين أنتِ؟

_أنا هنا، أنقذني .. الماء .. الماء

الماء يغرق كل شيء، يشدني، يدخل أذنيَ وعينيَ، يقتحمني، لا أدري .. أختنق ..

_هبة .. هبة..

إنتهى كل شيء، صحوت في بيتهم، لكن لم أجدها .. أنقذتني هبة وذهبت..ذهبت مع عشرة ملايين شخص..وذهبت الأرض معها.



كانت تحلم بأن تسكن على البحر، دفعت ثمن حلمها، صار بيتنا يواجه البحر..

لست عالم فيزياء أو جيولوجيا كي أفهم ما حدث .. مجرى النيل تلوث ملحًا واتسع، الدلتا اختفت .. مناطق مُحيت من على وجه الأرض...

اسمها هبة مختار .. قد كذبت حين وعدتني بأن تكون لي للأبد.

اسمها هبة مختار .. وقد ذهبت وتركتني وحيدًا...

لست مجنونًا أيها الطبيب .. ولكن هبة قد ماتت، ذنبها أنها هنا .. ذنبها أنني كنت أضعف من أن أسافر من هنا.. ذنبها أنها قالت "أعشقك منذ زمن"

ذنبها هو إنجازات الجي آر سي.



خرجت بعد أشهر، ليس لدي عائلة .. فكل أقربائي ماتوا قبل الفيضان والباقون ماتوا بعده.

خرجت فذهبت إلى والدها، شقتهم مهدمة من آثار ما حدث، رجوته بأن يسكن معي .. وافق بعد عناء .. كان يشبهها كثيرًا، رجوته أن يعلمني .. فوافق، سرد عليَ الحرب مجددًا .. ومناخ الحرب قبلها، حدثني عن الوضع الذي تعيشه البلاد، كان كلامه واضحًا .. قمع، ذل، فقر، قتل، مر شهر على بقائه معي .. إنه العام ألفان ومائة وإحدى عشر.. صحوت على صوت التلفاز، لا أفهم .. حواسي لا تعمل بدقة الآن، حاولت النهوض .. أطرافي لا تطيعني، وقفت وترنحت بإتجاه الباب، خراب .. المحلل السياسي والباحث... هذا كل ما رأيت على التلفاز، عيناي لا تعمل بعد لأرى ماذا يكتب أسفل الشاشة .. ولكن المنظر كان بشعًا، والدها جالس بلا حراك أو نفس، يجلس واضعًا يده على فمه، تدمع عيناه .. كنت بجواره، ماذا حدث؟

لم أنظر للتلفاز .. كنت أحاول أن أفهم ما به، همهم ببعض الكلمات ..(إسرائيل .. غزة .. إنتهت..)، لم أفهم ولكني صمتت .. ليس هناك حل آخر، نظرت إلى التلفاز وفهمت من تلقاء نفسي..

إسرائيل كانت تبتلع فلسطين شيئًا فشيئًا .. من خلال أعمال إستيطان.. كان هذا في القرن الماضي، و ظل مستمرًا .. لم يبق للعرب سوى نصف القطاع فقط.

فهمت أن إسرائيل قد تخلت عن تلك السياسة الجبانة في سرقة الأرض..

فهمت أن دعم ال يو أيه.. جعلها تكف عن سرقة الأرض ببناء المستوطنات، جعلها تتخلى عن سرقة قطع الكعكة.

زحفت إسرائيل بريًا على نصف القطاع فجأة .. قتلت كل من واجهت، إستعملت قنابل الفسفور .. فأغمض العالم عينيه، ضربت القطاع بالمدفعية الكيمائية .. فسد العالم أذنيه ولم يسمع صراخ الأطفال، إقتحمت....فقتلت، وعذبت وإغتصبت، والعالم يشاهد في الشاشات، غضب عربي بقي داخل صدور



الشعب... اختفى الإنتماء... ينتمون الآن لقوة الحكومات، إما الجي آر سي أو اليو أيه.

الغريب أن أحدًا لم يمارس هوايته المفضلة في إلقاء التصريحات على أية حادثة، الجميع اكتفى بالمشاهدة فقط، إنتهى الفيلم .. وضعت كلمة النهاية .. وضعت مع جثث سكان القطاع .. لم يبق منهم أحد ليروي القصة، لمن كان سيرويها أصلًا ، لم يبق منهم أحد ليحمل العلم ... أي علم؟ .. ضاعت دولتهم، فأين يُدق العلم؟

لبست ثيابي إتجهت إلى مقر الجريدة، جلست على مكتبي .. غير مبالٍ بما عليَ من أعمال، التلفاز في المكتب، برنامج توك شو آخر يبدأ .. الإعلامي الكبير حجاج ممدوح ظهر وجهه الأبيض على الشاشة غير باسم كعادته، خلع الآير بيس .. وبدأ في الكلام

"أعوام تمضي ولا نمضي معها ..أرى الآن في أعينكم وعين الوطن الإنحدار...

نحن لسنا على شفا حفرة الجحيم .. نحن وقعنا فيها ..

لا أتحدث عن ما حدث اليوم في القطاع فهذا يحدث منذ قرون ..

أتحدث عن ما نحن فيه .. الأمراض والفقر يتزايدون ..

عدد قتلانا يزداد مع كل كارثة والدولة لا ترى .. لا ترى غير إنجازات لا وجود لها..

لا ترى ولا تسمع .. الدولة تستمتع بنصر زائف مع حليفها الجي آر سي

كاد يكمل .. إنقطع البث، ولم يظهر ثانية على كل حال، هل مات؟

إعتقل.. فُصل فقط..لا أعلم للأسف، ولكن كلامه كان جيدًا وصحيحًا على كل حال.

خرجت من مكتبي متوجهًا لمكتب رئيس التحرير ومالك الجريدة .. السيد آدم، رجل محترم من أصل إنجليزي .. أعتبره قدوتي في العمل، وهو أيضًا يتودد إليَ منذ عملت هنا، يقول لي أني سوف أصير نابغة وأن عملي ممتاز .. عكس ما أرى أنا.

دخلت عليه، كنت متجهّما من غضب ما في صدري، لا أعلم مصدره...

_سيدي، أود أن تنقلني إلى القسم السياسي

_عادة البشر يقولون صباح الخير كتحية للصباح، وليس أود أن تنقلني

أربكني كلامه جدًا، لولا ضحكته بعدها لإنصرفت .. تابع كلامه

_أنت صحفي جيد، تجيد كل شيء، ولكن عليك أن تثبت أنك جدير بقسم كبير كالقسم السياسي .. في أوضاع مثل تلك.

_مستعد ... ما المطلوب؟

_تحقيق صحفي موسع، عن ثورة الجياع .. أعلم أن الموضوع قديم وقد مر عليه دهر كامل، ولكن آخر إحصائيات وصلتنا حول الفقر... مخيفة؛ لذلك سأنشر هذا التحقيق معها.

_ليس عليَ التدخل في سياسات النشر سيدي... أوافق

_هذا ليس عرضًا لتوافق، هذا تكليف .. أمامك أسبوعين

شكرته وذهبت .. عائد إلى مكتبي، أفكر .. من أين أبدأ؟ وكيف أحصل على معلومات؟

أسرعت إلى منزلي، فتحت الجهاز اللوحي الخاص بي، الإتصال مع الأوتر نت يعمل بكفاءة، جهازي من طراز قديم؛ لذلك غالبًا ما تكون هناك مشاكل في شبكة الأقمار الصناعية به.



أشعر دائمًا بأن هناك سحابة إلكترونية تمنعني من رؤية العالم، قابعة فوق جهازي.

دخلت الشبكة الرئيسية، أبحث في الملفات " ثورة جياع مصرعام ألفين وخمسة وأربعين"

مر على الأمر زمن، هناك من مسح كل المعلومات من على الشبكة ..هناك عملية محو للتاريخ..

الناس حينها كانوا فقراء،ولكن مقارنة بوضع العامة الآن فهم من متوسطي الحال .. وميسورين أيضًا.

هناك شخصيات قادت تلك الثورة، أستطيع أن أتذكر إسمين أو ثلاثة أسماء " محمد العوام "، " فوزان القط "، وأعتقد " حسن علام ".. أسماء لها وقع موسيقي مميز قلما تجده الآن؛ لذلك لم أنسها ... ونسيت الباقيين.

بحثت عن تلك الأسماء في كل محركات البحث مخازن المعلومات.. لا أثر لهم هناك من محى أي أثر لهم .. وكأنهم لم يولدوا، المربع صفر .. هكذا عدت إلى المربع صفر، بعد أربع ساعات في الفضاء الإلكتروني، تنقلت فيها بين كل محركات البحث المعروفة ومخازن المعلومات، ولكن من فعل ذلك؟ .. و لم؟ ... من قام بتلك العملية المعقدة من التطهير؟

محاولة أخرى في شيء آخر.. لنبحث فتاريخنا حافل بالثورات، "إنتفاضة الطلاب عام ألفين وخمسة وعشرين" لاشيء ... ٢٥ يناير عام ٢٠١١ .. لا شيء .. في كل مرة علامة إستفهام كبيرة وتعجب.

أشعر أن محرك البحث يسبني بأبشع الألفاظ، أكاد أسمعه يقول " من هذا الأحمق الذي يبحث عن أشياء ليست موجودة؟"

لست أعاني من إنفصام حاد، أو إسكيزا متقدمة، لا أحمل خيال رجال المخابرات من القرن الماضي.

تلك الأحداث حدثت، سمعت عنها وقرأت .. ولكن أين هي؟ .. هناك من يحذف التاريخ، أنا لست غبيًا كمحركات البحث تلك .. فهي لا تملك ذاكرة إلا لتلك الأشياء الموجودة في خزانتها، أنا لدي عقل، وذاكرة، وإحساس .. عليَ معرفة الحقيقة .. عليَ إتمام البحث.

الكوب الثاني من الشاي بعد العاشر، أفكر في حل بعمق، البحث .. السيد آدم .. القسم السياسي، يجلس معي بالخارج باحث و محلل سياسي .. ما هذا السخف الذي أفعله، أمامي حل من البداية .. كم أنا غبي، أنهيت كوب الشاي، مسجل صوتي .. يعمل، مفكرة وقلم .. موجود، سأفعل ذلك بنفسي.

_السيد مختار .. أهلًا بك؟

_أهلًا وسهلًا يا بني .. ماذا بك؟

_معك أحمد.. صحفي من جريدة الحدث .. أتمانع في مقابلة؟

_ههههه، لا أمانع .. بشرط .. بصفتك أحمد ابني

تذكرتها حينها .. أغمضت عينيَ لأداري الدمع فيهما، لو كانت هنا لكان كل شئ افضل.

تابعت حديثي معه، سألته إن كان يتذكر أي حدث من الأحداث التي ذكرتها له في الأعوام " ٢٠١١_ ٢٠٢٥_ ٢٠٤٥ " فأجاب بأنه يتذكر الأخيرة جيدًا، كان شابًا حينها، ذكرت له الأسماء ... فعرفها على الفور، صُدم مثلي بأن كل البيانات قد تم محوها من الشبكة، ذكر لي أنه منذ سنوات كانت الشرطة تُعدم كل تلك الكتب، من يُقبض عليه وبحوزته كتاب عن الثورات أو التاريخ السياسي... كان يُعتقل ويُصادر منه الكتاب.

ولكنهم نسوا الناس.. أن" شرطة الثقافة " أذكر أنه كان لها اسم .. أعتقد أنهم ليسوا بآلة، وأنهم يحملون عقلًا وذاكرة .. سيمحون كل شيء من الوجود، ولكن لن يستطيعوا محو شيء من العقول .. وما أُخفى لا يُمحى، سيمحون تاريخهم

السئ كله وكأنه لم يحدث، ولكنهم لم يستطيعوا أن يمحوا الكره من القلوب .. سنوَرث الكره مثل الجينات، سيستمرفي الجيل تلو الجيل، سيزداد الكره و بل يقوى .. وحينها لن يكونوا قادرين سوى على محو أنفسهم .. ولن يقدروا، سيمحيهم الناس.

أخرج لي كتابين يحكيان ما حدث، يحملان أسماء " إنتفاضة الموتى " و " ثورة الجوع ".

قال لي بأن أخفيهم جيدًا، وبدأ بسرد الحكاية .. لم يكن يتذكر بدايتها لأن هذا كان منذ ثمانين أو تسعين عامًا .. بدأ بسرد ما تذكره، الإنحدار الثقافي والمجتمعي، القمع، السرقة، الفساد، خط الفقرأصبح فوق الجميع .. تتلاشى الطبقة الوسطى، الشباب مسجون أو مسحول أو مصاب أو في دوامة الرزق والحياة .. الجميع يموت، الجميع لا يعرف معنى أن يكون حيًا، الموت أفضل لهم من ذلك، الجوع ساد البلاد، تخطى الأمر كونك لا تجد عملًا مناسبًا، أو راتبًا قليلًا.. وصل الأمر لأطفال يموتون جوعًا، أو مرضًا، أو بسبب نقص العلاج.

الأمر أصبح شخصيًا، سأخرج كي آكل .. آكل فقط، لا أريد الفوز بشيء، ولكني أريد أن أجعلك تخسر .. سأحرق كل شيء يقابلني، سأهدم كل حجر، سأقتل كل .. شبعان وكل جائع .. سآكل كل شيء .. نبات، جماد، أموال.

لن أشبع حتى أرتوي .. بدمك، دمك أنت شخصيًا .. أنت الكيان، أنت الدولة .. أنت من ترتدي الزي الموحد المزركش بالنياشين، أنت من ترتدي النجوم والسيوف، أنت من تحمل السلاح والقنابل، أنت من قتلني وسجنني وجوعني .. ..وأهانني.



سأقتلك، وحتى لو مِت .. سيستمر شبحي في قتلك، وحتى لو مِت أنت، سأقيد الجثة .. أطعنك في كل شبر فيها، أحرقها، آكلها، أهشم عظامك، وأطحنها، وأنفخها مع الريح .. فليمت كل شيء وأنا معه .. ليرحل الجوع والظلم والذل عنا .. حتى لو الثمن رحيلنا جميعًا، الموت للجوعى، والموت للأحياء، والموت للموتى .. والموت للوطن.

هزتني تلك الجملة حين سمعتها، كلامه أرعبني .. كان .. " الموت للوطن " ذلك في الماضي، الآن الوضع أسوأ .. إن حدث هذا سيكون أسوأ بكثير .. ماذا بعد الموت للوطن؟

جلست أربعة أيام عاكف على الكتابين، قرأت ودونت وحللت الأفكار..

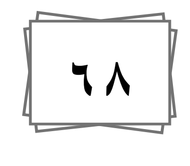
بالطبع لم يمكنني إستخدام الشبكة في التحليل، فقد مُحيت كل البيانات، وأيضًا سيقبضون عليَ فور معرفة هذا .. لم أخرج من البيت ولم يزعجني أحد، ظللت أقرأ وأكتب .. لم أكن أعي حجم السواد هذا .. لم أكن أعي أننا بالفعل داخل حفرة الجحيم.

قرأت عن العالم قبل الجي آر سي و ال يو أيه...

القانون لم يكن يحكم سوى على الضعيف .. لا طعام، لا عمل، لا تكنولوجيا... الدولة تنحدر.

تحدث الدكتور علوان ماجد في كتابه" ثورة الجياع "عن طبقة لم تكن تملك الحد الأدنى من الحياة.

لم تكن تملك حتى أساسيات الحياة الخمسة " نوم _ طعام _ثياب _ شراب _ جنس " .. في مقابلها هناك من يملكون كل شيء، حسب وصفه لو أكلوا أموالهم لما نفذت... لا أظنه مبالغًا، فلدينا هنا من يشبههم، الفارق الوحيد هو المكان ... حسب قول الكاتب، حتى أنه تحدث عن مناطق تعيش فيها الطبقتين في مكان واحد، الفاصل بينهما... شارع، وسور حجري ضعيف.





أما الآن فقد إنعزل أعلياء القوم في مدنهم، في سيناء وعلى شريط البحر الأحمر .. لم نعد نرى السيارات الفارهة في القاهرة، لم نعد نرى إلا أنفسنا .. هذا وضع جيد، فكلما نظرت حولك، شعرت بأنك لست وحيدًا .. لست المظلوم المنكل به، بل الجميع كذلك .. وفي تحليلي تصورت أن هذا يقال عند قيام الثورات والإضطرابات؛

لأنك لم تر من هو أفضل منك حالًا ... لتطالب بالأفضل.

صوت طنين .. أفتح عينيَ على رنين الهاتف، السيد آدم

_آلوو

_أحمد، كيف حالك اليوم؟

_أنا بخير، وأنت؟

_بأفضل حال، أتصل لأطمئن على بحثك .. لقد تقدم ميعاد النشر، أمامك يومين فقط لتسلمه إليَ

_أنهيت جزءًا كبيرًا منه، سأسلمه في الموعد .. لا تقلق

_لست قلقا ..أنا أذكرك بالموعد فقط

_حسنًا، أي شيء آخر؟

_لا .. وداعًا

_وداعًا

متى نمت؟ .. لا أعلم، ماذا بجواري؟ .. فنجانان من بديل القهوة .. أو ما صرنا نقول عليه قهوة من باب الإعتياد، وطبق من البيض المقلي..



لا أعلم متى أكلته .. نصف شريحة من اللحم الصناعي ،

ثلاث أكواب بلاستيكية من شاي النصر...

ماذا كنت أفعل؟ وأين وقفت في البحث؟ .. أنظر إلى الأوراق الثلاثة عشر أمامي على المنضدة، راجعتها بعينيَ .. واضح أني أنهيت

كتاب " ثورة الجوع " ..كان كتابًا جيدًا على كل حال، إستفدت من المعلومات حول ما قبل وأثناء ثورة الجياع، أو ما سميت كذلك.

أعتقد أني بحاجة لأن أنهي كتاب " إنتفاضة الموتى " اليوم.

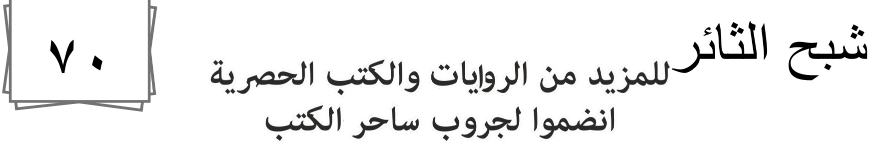
قمت إلى الحمام، فتحت رشاش المياة الذي أصبح بالكاد يعمل .. وقفت تحته عاريًا دون حراك ، الماء المنسدل من رأسي على جسدي منتهيًا في فتحة البالوعة في الحمام، أشعر أنه يسحب تعبي وإرهاقي إلى الأسفل، يأخذ آلامي ويلقي بها في البالوعة التي أصبحت تبتلع الماء ببطء الآن .. إرتديت ملابسي وخرجت إلى الغرفة، تلك الغرفة الصغيرة التي إقتلعتها من الردهة، أقمت ساترًا خشبيًا في الردهة، أغلقت ربعها فأصبحت غرفة... جلست على السرير وأنا أتابع في التلفاز أزمة الحروب الإنفصالية في ويلز..تلك الدويلة الصغيرة التي تغرغر بها الجي آر سي..

فطمعت في النفوذ .. وتحاول الإنفصال عن ال يو أيه...

عامةً.. هذا شأن داخلي وليس شأني، فلتنفصل ويلز أو تموت أوربا أو تنفجر روسيا.

هذا ليس مفيدًا الآن.. عليَ أن أكمل بحثي، الكتاب الثاني " إنتفاضة الموتى ".

واضح أن هذا الكتاب أحدث من " ثورة الجوع " .. بالطبع لا يوجد تاريخ على الكتب، تلك نسخة مهَربة، لا تحمل تاريخًا أو اسم مؤلف أو اسم كتاب حتى، ولولا خط اليد المُسجل به اسم الكتاب واسم المؤلف لما عُرِف الدكتور عمرو





ياسر مؤلف الكتاب، مدون هنا أنه حصل على الدكتوراة في العلوم السياسية، وأيضًا أنه أُعتقل بسبب هذا الكتاب، ولم يظهر حتى الآن أو يُعلن عن وفاته.

الكتاب كان مبسطًا جدًا، لدرجة أني فهمته دون جهد، كان يتحدث عن ثورة الجياع في البداية، تحدث عن الخراب الذي أصبحت عليه البلاد، تحدث عن كم المنشآت الضخمة التي دُمرت، وعدد القتلى الذى لا يُحصى، نُفذت أحكام الإعدام العلنية دون محاكمات ... في كل المسئولين،إبتداءً بالرئيس عبد العال محسن إلى أصغر أمين شرطة قد قُبض عليه، الجميع أُعدم ...لا لم يُعدموا ليس برصاصة الرحمة، كان الأمر وحشيًا، أستطيع تخيل المشهد، يدخلون إلى ميدان التحرير في أقفاص متحركة، يدخلون من الأصغر مرتبة إلى الأعلى، يقفون عند منصة العلم، يقرأ أحدهم الإتهامات في مكبرات الصوت، ثم ينطق بالحكم... وبينما ينطق بآخر كلمة، تكون تلك الشفرة اللامعة لذلك السكين قد مرت على عنقه... وقطعت وريد الدم.

المنفذ فيه الحكم يكون قد إنتفض إنتفاضة الموت وبدأ في الإرتجاف مُخرجًا دمه للجميع، الأول فالثاني... فالعاشر... فالخامس عشر بعد المائتين، كان ذلك هو عدد المُنفذ فيهم حكم الإعدام، الدماء ظلت في الميدان عدة أيام، لم يتشربها الأسفلت القاسي، فقد تشرب الكثير من الدماء في السنوات الخمسين الماضية، لقد إكتفى الأسفلت من الدماء، الهواء قد جلطها مكانها، فقط بعثرتها السيارات العابرة من وإلى خارج الميدان، إنتشرت الدماء على طول الطريق حول الميدان.

إستلقيت ليلتها وأنا أشم رائحة الدماء في أنفي، غلبني النوم فجرًا، راودتني ليلتها أحلام خانقة، تخيلت نفسي في مظاهرات الجياع .. كنت غاضبًا جدًا، أحرقت ليلتها ست مبانٍ حكومية وقتلت ما يقرب من العشرين شخصًا، الحلم لم يكن سعيدًا جدًا .. فقد إستيقظت حينها قبل أن يأكلني أحدهم، كان المنظر بشعًا .. لقد أكلنا كل المدينة.. لم يبق سوانا، فأصبحنا نأكل بعضنا بعضًا .. كنت ممسكًا بذراع أحدهم وكان يأكلني خمسة على الأقل، كنت غير مستوعب.



كانت الساعة الخامسة حين إستيقظت، حينها أسرعت إلى الحمام لأستحم، وشربت كوبين من بديل القهوة، هذان الكتابان يعبثان في عقلي حقًا، إنه كما كانوا يقولون ... لقد عرفت؛ لذلك عليك بدفع الثمن.. ثمن المعرفة، الثمن هو عقلي... لن أُجن ولكني سأتعب،عليَ الذهاب غدًا لأسلم التقرير النهائي الذي سينشر، ماذا لو قُبض عليَ؟ قصة مصادرة الكتب تلك .. لم أسمع عنها ولكنها حقيقية، فمن يمحي التاريخ يمكنه أن يصادر الكتب، يقتل الناس، ثم يظهر ليضع أكاليل الزهور فوق قبورهم الجماعية.

إني إستيقظت على صوت طنين المنبه، لم أشعر بشيء حينها، كان الوقت فجرًا ولكني فوجئت بأنها الثامنة صباحًا، أنظر لنفسي غير قادر على الحراك، أُشبه حرف إكس كبير، أو كأني برص عملاق سقط على السرير، ربع ساعة بالقارب ثم ساعة ونصف الساعة بالطريق وأكون عند الجريدة.

مُنع البحث من النشر، أو بمعنى أدق مُحي من الشبكة، لم يتم القبض عليَ لأن السيد آدم وضع البحث وكأنه مُخترق شبكات من قام بذلك لهذا لم نُمس بسوء.

مُنع البحث على كل حال، ولكنني كنت قد أخذت تذكرتي نحو القسم السياسي بالجريدة، وأيضًا قد فزت بالمعرفة .. تعلمت أن المعرفة شيء يجب دفع ثمنه، لا أظن أن الثمن هو منع البحث من النشر، أظن أن الموضوع أغلى من ذلك .. سأنتظر.

عكفت سنوات على ترصد الكتب المهربة والمخبأة، جعلت هذه

هي هوايتي السرية.

قرأت في كل شيء .. البعض كان سخيفًا، مثلا قرأت عن أُناس في

نيويورك في القرن الماضي أقاموا كنيسة وأسموها " الشيطان " .. أولئك الناس كانوا مسيحين، آمنوا بوجود الله وإذا آمنت بوجود الله فأنت مؤمن بالضرورة



بوجود الشيطان، ولكن هؤلاء القوم إعتقدوا بأن الشيطان أقوى، أن تكون ملحدًا ... لأمر مفهوم ... ولكن أن تعبد الشيطان وتقيم له كنيسة وطقوس عِمدان مثل تلك الموجودة بالمسيحية؛ فهو أمر يستحق العجب.

البعض من الكتب كان ذو قيمة حقيقية حقًا.. قرأت كتابًا لكاتب لم أستطع قراءة اسمه، تقول خربشات خط اليد التي كاد الزمن أن يمحيها أن اسمه " نحو تلوث أفضل" تحدث الكتاب عن معدلات الثلوث، بالطبع ليس هناك معلومات عن مرحلة الحرب النووية أو ما قبلها بقليل أو ما بعدها، تحدث الكتاب عن سنة ٢٠٢٥ حيث أقامت الحكومة بموجب قانون وُضع بمعرفة مجلس الشعب بعد إنتفاضة الطلاب.. جهازًا لقياس معدل التلوث في المدن الصناعية، وفي حال وصول المؤشر إلى الدرجة ٣٥ ... تُغلق المصانع في تلك المنطقة، تحدث على أن القانون قد عُدِل بواسطة مجلس الشعب عام ٢٠٣٥ وقد إكتفى بإنذار المصانع فقط، وفي آخر قياس من الجهاز عام ٢٠٣٥ كان المعدل ثلاثة وثمانين.

قرأت كمًا هائلًا من الكتب بالنسبة لحجم الكتب في السوق، الأمر كان خطيرًا .. لا أذكر أين تعلمت أمور الجاسوسية تلك، ولكن بالتأكيد كنت حريصًا على حياتي، وخوفي من ن أقع في يد أحد جواسيس الجي آر سي، أظهر تلك المواهب بداخلي، تتبعت اسم أحدهم ... كان على كتاب مع السيد مختار... وصلت له، أو وصل لي... بالأدق أن الصدفة جمعتنا، سيارتي التي حصلت عليها للتو من الجريدة، تعطلت في إحدى شوارع القاهرة.. في مركز المدينة العفن.... وجدت شخصين يتبادلان الكتب ... جريت خلف أحدهما هددته بمسدسي...

_توقف... سأقتلك... إن توقفت لن أفعل شيئًا



قادنا المطاف إلى زقاق مسدود، كان صدره يعلو ويهبط، أكاد أسمع دقات قلبه من هنا

_إهدأ .. لست جسوسًا، أنا منكم

_ماذا تريد إذً؟ا

_المعرفة، رأيت ذلك الكتاب

_أي كتاب؟

كان يتحدث وهو يلهث أنفاسه...

أربكني جرو كان قد خرج من النفايات هاربًا...

_رأيتك تسلم هذا الشخص كتابًا، بإمكاني قتلك .. أو الإبلاغ عنك،

شرطة الثقافة لن يعنيها التأكد من الخبر... ستختفي ....

أنا فقط أحتاج إلى المعرفة ....

_وما يدريني أنك لن تفعل؟

_لو كنت أريد لفعلت الآن

خطرت في رأسي فكرة .. عليَ أن أُشعره ببعض الأمان

وضعت مسدسي في مكانه .. أظهرت يديَ له، ورفعتهما في الهواء، ليطمئن أني لا أحمل شيئًا.

_إن أردت أن تهرب الآن فهيا... لا أحمل سلاحًا، الطريق خالٍ أمامك

_من أنت؟



_اسمي أحمد، أعمل صحفيًا في جريدة الحدث، ربما رأيت صوري يومًا في الجريدة ثلاثية الأبعاد

_لا أقرأ تلك الجرائد الحقيرة، فهي لا تفعل سوى أن تلهينا عن أفعال السلطة

في الواقع اللفظ كان أشد من الحقيرة لو كان للجريدة أم حقيقية فعليك أن تقول بأنها زنت مع قرابة المائة رجل

_ليس موضوعنا .. الكتب أمام المال .. ما رأيك؟

أو أضف ما تريد ....

_الكتب من أجل الكتب وفقط ...

_كما تريد، كيف سيتم الأمر إذًا؟

_إترك لي بياناتك وأنا سأصل إليك

_وما يدريني أنك ستفعل؟

_هو ذلك الشيء الذي لن يجعلك تقتلني

ألقيت له بطاقتي الشخصية ورحلت مهرولًا نحو السيارة .. وجدتها تعمل، لا تملك سيارتي إمكانية الإصلاح الذاتي .. لكن من الواضح أنها فعلت..

عثر عليَ هو بعدها .. أصبح يمدني بالكتب، عرفت معلومات عنهم، من خلال كتاب لهم، أعتقد أن اسمه " المقاومة "...هم حركة طلابية أو كانت كذلك في القرن الماضي، وحين أتحدث عن القرن الماضي فأنا أقصد العام ٢٠٠٥ تقريبًا.



كان نشاطهم في الجامعات والشوارع، تحولوا مع الزمن إلى تلك الحركة السرية التي توزع الكتب سرًا.

مدوني بالكثير من الكتب، وقدمت لهم الكثير من الخدمات ..
الجميع هنا ليس آمنًا من الشرطة .. أنا صحفي ولست آمنًا، ولكن كان مكتبي يتم فيه أحيانًا تبادل الكتب أو ما شابه.

كان اسمه " خالدًا " كما عرفت، لم أعرف عنه أكثر من ذلك،
ومع ذلك كنت أشعر بأنه أخي، لا أعلم من أين أتى هذا الشعور، ولكنه أتاني على كل حال.

الوضع الخارجي مشتعلًا، إنفصال ويلز كان صفعة لل يو أيه، لا أحد يعرف أين الرد، ولكنه سيأتي والجميع ينتظر.

الوضع كان ساخنًا جدًا، هناك حرب دائرة في رأس كل القادة،
ولكن أحدًا لم يجرؤ على التفوه بكلمة أو الإتيان بحراك واحد.

في نهايات العام ٢٠١٨، تفاجأت بشخصين يرتديان حُلتين سوداوين، ونظارتين سوداوين في مكتبي، تم إخلاء المكتب دون صدور أمر بذلك بمجرد دخولهم..

إنسل جميع الزملاء إلى الخارج، عرفت من هما من شكلهما،
إصطحباني إلى جهاز" السلم العام "



تم إستجوابي لأكثر من عشرين ساعة؛ من أجل مقال كتبته عن
أحداث إضراب عمال مصانع المنطقة الحادية عشرة شرق الجيزة، بسبب
إرتفاع معدلات التلوث وإصابة أكثرهم بسرطان الرئة؛ لأن المصنع لم يصرف
لهم أجهزة تنقية الهواء، الأمر أشبه بأن تدخن تسعين علبة سجائر يوميًا وأنت
تتنفس فقط.

جلست لعشرين ساعة أقنعهم بأنني أغطي الحدث بأمر من
الجريدة، وبأنني أنقل الصورة ولا أشارك فيها.

ظللنا في جدل، تغير عليَ أربعة محققين...ثم وجدت نفسي أمام
الباب بالخارج وعليَ الرحيل، لم أكن أعلم ما حدث، آخر شيء أتذكره ... أن
النوم غلبني، أو أُصبت بحالة فقدان وعي من الإرهاق الذهني.

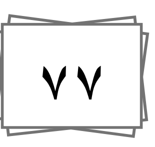
تعلمت بعدها ما يجب أن أقدمه للنشر وما لا يجب أن أفعل...

نصائح السيد آدم .. بأن أبقى ذكيًا بما فيه الكفاية، وكلمات خالد بأن
أكون بعيدًا عنهم.

بعد عدة مواضيع أصبحت من أشهر كتاب القسم السياسي في
الجريدة، صورتي الثلاثية الأبعاد كانت تنير الجريدة كل يوم تقريبًا.

الطائرات

تُحلق بكثافة فوق القاهرة بالتزامن مع كل عواصم الجي لآر سي؛
إحتفالًا بالذكرى الثالثة والثلاثين لنصر الجي آر سي في الحرب النووية.





وحسب إعتقاد كونته عن وسائل الإعلام العالمية، فإني أعتقد أن عواصم ال يو أيه تحتفل هي الأخرى بطائرتها البيضاء؛ من أجل النصر الذي حققته في الحرب النووية.

هذا العالم مجنون بالكامل، الدول تحتفل بالنصر في حرب الجميع قد خسر فيها، لا أنشغل بهم كثيرًا ..فأنا أعلم أنه من الصعب على قائد عسكري أن يعترف بأنه هُزم.

الغريب أن الناس صدقت بعد أن رأت بأعينها، مستحيل أن تجمعنا سحابة أوتر نت واحدة ونصدق بأن كلينا قد فاز.. أو ربما لا يروا بعضهم البعض، ولكن هذا صعبًا.

أو ربما هؤلاء الأوغاد يفعلون ذلك أيضًا، أو ربما لكل حلف أوتر نت خاص به.. ولكن كيف أكتشف ذلك؟

قاطع حبل افكاري السيد آدم على غير عادته يناديني،

فذهبت إليه .. لم أفهم ما قال بدقة، ولكنه قال لا تتأخر غدًا،

أعتقد أن يومًا مُتعبًا آخرًا بإنتظاري...





الفصل الثالث

" مررنا بتلك الأرض
أكلنا بقايا الزرع
شربنا آخر قطرة ماء
قطعنا آخر وردة من أجلِ حب كذاب
ذبحنا آخر شاة لنأكل لحمًا ونرمي العظام
قتلنا آخر ثائر حق خطى بين كل الظلام
مررنا بأرض
تركنا قبورًا لأجيال تأتي بعدنا
فنعم الوفاء "

" محمد عبد الوكيل"



"القاهرة–٢٢"

.. سنقتلك

.. ونسحق جمجمتك

.. ونشرب دمك

.. ونمثل بجثتك

.. وننشر أشلائك

.. لن يحزن عليك أحد

... سيتمنون أن يموتوا مثلك

.. لأنهم فقط

" في .... مصر

" القاهرة - ٢١٢٢ "



إنها الرابعة عصرًا كما أعتقد، لم أنم كثيرًا هكذا منذ زمن .. بدأت برنامجي اليومي شبه المعتاد، بديل القهوة، الحمام، لا إفطار .. بديل كفيل بإفقادك القهوة شهيتك لست ساعات تقريبًا.

أتفحص محطات التلفاز، أين هي؟ .. توك شو يملأ الدنيا وبرامج مسابقات غريبة جدًا، ربما فيلمين أوما شابه مع بعض المشاهد الجنسية .. ولكن أين هي ..؟

يشبه الأمر بأن يصاب إصبعك الصغير بألم حاد، فتقوم بقطعه، وتستيقظ ولا تجد دمًا.

هنا دويلة قد إقتلعت منا، هناك أرواح قد فارقت عالمنا، هناك حرب ولا أجد شيئًا.

إكتشفت منذ فترة أنهم يمحون الماضي، يزورن التاريخ، لكن العبث بالحاضر هو جريمة.

لا أجد شيئًا عن النوبة في التلفاز، بحثت في الشبكة فلم أجدها .. كأنها لم تكن من الأساس..

أيمكن أن أكون كنت أحلم، جهازي الخاص .. يحمل ما حدث، إذًا أنا لست مجنونًا..

ال أوتر نت نظيف بالكامل لا أثر لأي حرب هنا، قد تلاحظ أن أبشع جريمة يتداولها الناس هنا هو بيع المورفينا الزرقاء .. هذا المخدر الذي يدمر الأعصاب ويحولك لزومبي بالكامل...

لقد قرأت في إحدى كتبي المهربة عن المورفينا الزرقاء، هي مادة شبة نووية، .. صعب الحصول عليها إلا امن المفاعلات النووية .. سأوضح الأمر..

هي مثل أن تاكل بروتونيوم ويورانيوم، ثم تتبرز المورفينا الزرقاء هي فضلاتك حينها .. هذا هو الأمر وللحقيقة لا يدعو للإشمئزاز إطلاقًا..



لو ركز الناس قليلًا سيجدون أن المورفينا الزرقاء .. ما هي إلا إحدى إنجازات ال جي آر سي، و حينها سيحبونها و يمدحها الإعلام .. حتي أنها ...ستباع على بطاقات المواطنة كدعم حكومي لها..

ربع ساعة بالقارب، ثم ساعتين .. تكلفني المسافة إلى قلب المدينة ساعتين، كلما إتجهت إلى مركز العفن، كلما قل الزحام.. قلت السيارات و قل الناس..

الساعة السادسة مساءً، لا رجال شرطة هنا في ذلك الوقت..

أركن سيارتي بين تلك السيارات التي عبث بها الصدأ، فأصبحت هياكل عديمة الشكل أو اللون، لا أستطيع تركها هنا .. لو أغفلت عيني عنها لحظة؛ لتجمع حولها مجموعة من الصبية لا تعلم من أين سيظهرون، ربما يتكونون في لحظتها لهذا الغرض؛ فيفككونها قطعة قطعة، سيأخذون كل ما بها من المحرك النيتروني إلى أصغر مسمار بها...لن تجد لها أثرًا..

أنا مجبر على التواجد هنا، إنه الميعاد الشهري لتبادل الكتب.. خالد يظهر من شق في الجدار، هو زقاق ضيق لهذا الحد الذي يجعلني أتخيله شقًا.

يمر بجانب السيارة، يصطدم بها وهى واقفه، إفتعلت مشكلة معه، يلقي بالكتب بجواري...

وتنتهي المشكلة ويرحل، ولكن هناك شيئًا غريبًا، قبل أن يرحل قال لي....

"هناك رسالة "
لم أفهم بالطبع....

ليست التحية المعتادة لإنهاء اللقاء بين أبناء قومي هي

" هناك رسالة "



وبالطبع لن نحل الموقف كرجلين بالغين ونحتسي الشاي ونحن نثرثر في إحدى مقاهي القاهرة...

كل ما فهمته هو " هناك رسالة " .. خبأت الكتب تحت قدمي، وأسرعت إلى المنزل...

من الجيد أن الكلاب لا تشم رائحة الكتب..

لجنة تفتيش.. سأكون محظوظًا إن مررت.. نظر إليَ في ملل وهو يتفحص ملف رخصتي ثلاثية الأبعاد، أشار إليَ في ملل أن أرحل.. رحلت متمهلًا حتى لا يشك في أمري...

ساعتان وربع الساعة وكنت فى البيت... دخلت غرفتي... تنفست الصعداء..

هنا لا أحد.... لا أحد يشي بك، لا أحد يفتش فى أشيائك هنا،
خلعت ذلك الحجر من الأرضية حيث أخبىء كتبي، وضعت كل الكتب،
وأعدت الحجر كما كان

إتجهت إلى الحمام، أستحم سريعًا كعادتي، لا أحد هنا أخشى عليه؛

فقد توفى السيد مختار بعد زوجته بأسبوع ..جراء سرطان الرئة،

مات كثيرون جدًا من الأطفال وكبار السن من جراء هذا المرض خلال أعوام...

لم يعد هناك أحد مهتم بتعداد أو إحصاء أرقام موتى الكوارث أو الأمراض، بسبب نسبة التلوث المهولة التي وصلنا إليها... فلدينا الكثير من هؤلاء الحثالة، الذين لا يستطيعون شراء فلاتر التلوث، أو الذين لا يستطيعون الرحيل من القاهرة..

ذلك المكان الذي أصبح بمثابة مصنعًا للعفن السائل الذي يُغرق كل شيء...



الذي يأكلنا كما يأكل الجير الحي والحمض المعتقلين... ويبقى الحمض فيموتون بلا جثة، وبلا أدلة... هنا أيضًا لا يبقى إلا العفن.

.....

كوب من بديل القهوة، لقد تغير مزاقه قليلًا، هؤلاء القوم يتطورون،

إنهم يذهبون نحو الأسوأ بخطوات ثابتة..

تذكرت عبارة " هناك رسالة " ..

أخرجت الكتب من مخبأها .. بدأت فى فتح الكتاب الأول...

هناك ورقة موضوعة بداخله، مكتوب عليها أرقام فقط ... أرقام لا تبدو كرقم هاتف

كانت مثل (٩-٨١-٧٠) _ (٥-١٠٠-٢) _..... وهكذا ... لم أفهم ما حدث..

جلست أتفحص الكتب .. لم أفهم الرساله بعد..

ما هذا؟ هناك أرقام .. عشر كتب مرقمة من ١ إلى ١٠

لم يكن هذا هنا من قبل، أو كان هناك .. لا .. لا أذكر

أعدت النظر في الرسالة، كل قوس يحمل ثلاث أرقام من اليسار إلى اليمين..

الرقم الأول لا يتجاوز ١٠، ربما يكون عدد الكتب، لنحاول

الرسالة الأولى (٩ _ ٨١ _ ٧٠)



طبقا لإفتراضي يكن الكتاب التاسع صفحة رقم واحد وثمانين الكلمة رقم سبعين...

لنحاول إذًا .. أبدأ بعد كلمات الصفحة رقم واحد وثمانين من الكتاب التاسع.

" ميدان " ... الكلمة هي " ميدان "... ماذا يقصد بميدان، لم أفهم أيضًا...

ربما عليَ الإستمرار في هذا الهراء حتى أكتشف، سأكتشف حينها مدى سذاجتي أو مدى صحة الرسالة.

لنكمل إذًا الرسالة الثانية...(٥_ ٢ _١٠٠) في الكتاب الخامس الكلمة الثانية صفحة رقم مائة..

إنها " تكوبي" .. لا أفهم، الأمر يزداد سوءًا

وفقا لإحداثيات القمر الصناعي هو بقلب المدينة قريبًا من ميدان طلعت حرب...

من ذلك الرجل؟ لا أعلم

المهم هو أن المكان حقيقي، وفي وسط المدينة حيث لا رجال شرطة أو دولة...

هذا مريح نوعًا ما ... الآن أنا أسير في الإتجاه الصحيح

عليَ الآن أن أفك باقي الرسالة..

من الواضح أن هناك خلل ما....

الرسالة تقول..



" ميدان. تكوبي. الساعة.الخامسة. عصرًا.بعد .خمسة.أيام"

إنتهت ...أين الرسالة في ذلك؟

ما الذي سوف يحدث هناك؟

لا أعلم ..... هناك أمر ما وعليَ إكتشافه الآن..

"سنذهب حيث الشمس باردة

سأخطفك من العالم بأسره

ستكون لي ... وأكون لك

ستموت من أجلي ... سأموت من أجلك

ولن نلتقي أبدًا ....ولكن

ستظل روحي لك"

سرقني ذلك اللحن من مشغل الموسيقى ...لا أتذكر اسم تلك المغنية،

يا لها من رومانسية!! ... تحبه بعد موتها....ربما يكن في أحضان غيرها ولكن مازالت تحبه..

طقطقة كعب رفيع قطعت حبل أفكاري عن رومانسية الموتى تلك..

وقفت أمامي ...كانت شيئًا

لا أستطيع إلا أن أطلق عليها اسم "شيء"

فهي ليست أنثى ... فالإناث قد يكن جميلات أو قبيحات...



ويقبلن المقارنة ... أما هذا الشيء فهو لا يقبل المقارنة...

وقفت وشعرها الأسود منسدل فوق كتفيها إلى نهاية ظهرها،

مختلطًا بذلك الرداء الجلدي الذي قد يكون جزءًا من جسد ذلك الشيء....

عيناها الواسعتين كانتا تحدقان بي...

صدرها النافر الذي أبى أن يختبىء في ملابسها؛ فخرج بنصفه

ليستنشق الهواء الطلق...

ويديها الرفيعتين قد مُدتا نحوي ...."أستاذ أحمد"... كانت تهمس.. لم أفهم ..توقفت مداركي

كنت أفكر.. من تريد؟ .... أفعلا أنا؟

_من؟

_أستاذ أحمد...

أعادت الجملة؛ فأستفاق وعيي

_ااااه... أستاذ أحمد، نعم أنا أستاذ أحمد

_أنا أميرة.. من المفترض أن أتدرب هنا.. وتحت إشرافك

_من؟...ما؟..عفوًا دقيقة...لا أفهم ..إستريحي

تركتها في مكتبي وخرجت ..تنفست الصعداء ..على عقلي أن يعمل الآن..

نعم هي ليست جميلة.. إنها خارقة الجمال ..وعيناها تربكاني...ولكن يجب أن أتصرف كرجل راشد ..هي هنا للتدريب ..عليَ أن أودي تلك المهمة دون التحيز لجمالها الصارخ أو الإلتهاء به.



-آسف أستاذة أميرة ... أو أميرة إن أصررتِ أن تناديني بأحمد

فهمت أنكِ هنا لتتدربي في القسم .. وأنا هنا لأساعدك

_شكرًا جدًا...أنا سعيدة جدًا بلقائك .. أتابع كل أعمالك التي نشرت

ولدي بعض من تلك الأعمال التي مُحيت من الشبكة.

إرتبكت قليلًا حين تحدثت عن محو الأشياء من الشبكة ... ربما تعرف ولاحظت وهي معنا .... وربما تكن جاسوسة أيضًا

_مُحيت من الشبكة !!!.. لا أفهم

المهم دعينا من ذلك ...اليوم هو الأول لكِ.. إختاري موضوعًا من الساحة .. وإكتبي تقريرًا وإرفعيه إليَ .. ولنر ماذا ستكتبين به..

-حسنًا .... متى أسلمه؟

-.بعد أربعة أيام ... موعدنا هنا بعد أربعة أيام

-ولكن متى.. فلدي موعد عند الخامسة..

_لاتقلقي..سيكون في الثانية عصرًا... ولن أناقشك فيه قبل أن أقرأه وحدي

-إتفقنا

_تستطيعين الإنصراف الآن

قامت فتمايل المكتب والجدران مع تمايل خصرها.. كان شعرها الناعم يهتز في تناغم مع خصرها، كانت حلمًا وقد إختفى..

وعليَ الآن أن أعود لمتابعة هؤلاء القتلى في أنحاء العالم.



رأيتها في الحلم ليلتها... كانت أجمل، وكنا وحدنا... وقد حدث كل شيء..

كل شيء يمكن أن يحدث بين رجل وامرأة وحدهما قد حدث...

كان مجرد حلم... ماذا بي؟...لم أحلم هكذا منذ الخامسة عشر تقريبًا..

يا لها من لعنة جميلة أصابت حياتي ...أخذت أربعة أيام

إجازة من الجريدة.

كنت أقرأ تلك المرة .. قرأت الكتب التي معي ... إلتهمت في يومين أربعة كتب..

الكتب تلك المرة كانت تتحدث عن الثورات التي قامت عن ثورات إفتراضية..

وعن تحركات الجماهير .. وقمع السلطة .. كان أحدها قديمًا جدًا

لو كتب في نفس الزمن الذي تحدث عنه فعمره الآن تجاوز المائة عام تقريبًا..

حكى الكاتب الذي كان اسمه مخربشًا بخط اليد بحيث لم أستطع قراءته...

عن ثورة ما قامت في عام٢٠١٠. ..كان كلامه يبدو منطقيًا في أغلب الأجزاء..

هناك جزء لم أفهمه على نحو الدقة .. كان يتحدث عن سرقة الثورة

في البدايه لم أفهم .. أقصد أنه من الصعب على بشري أن يفهم أن أحدهم قد دخل دولة ما وحمل الثورة في كيس أسود اللون وسرقها وهرب .. الأمر ليس منطقيًا يا رجل.

عندما قرأت الفصل فهمت .. وتعلمت أن الإعلام ليس فقط قادر على تزيف الماضي ومحو التاريخ والعبث بالحاضر...

بل لديه القدرة على تحريك الناس...



حيث يظهر ذلك الرجل في لباسه المنمق وهو يقول أن الثورة من أجل الوطن فإدعموها بما إستطعتم .. ثم يعاود الظهور وهو يهاجمها وينفر الناس منها ويحرضهم على قتلها...

كان يفعل ذلك إستنادًا إلى ضعف ذاكرة الناس ربما.. أو غبائهم أو بالأحرى فقرهم وإحتياجهم وخوفهم من مجهول قادم...

العسكر كان يحكم في أزياء مختلفة .. الدين..الوطن.. المدنية.. كلمات كان يتخذها قناعًا...

تحدث عن غباء الناس وعن تأخر قوى الثورة..

إسلامي ضد علماني فتفرق الصف .... ليبرالي ضد إشتراكي فإنهار حائط الدفاع..

أحد الجنود ترك مكانه لمنصب الآخر من أجل أضواء الشهرة وآلات التصوير.

والثالث من أجل المال .. والرابع ربما كان جسوسًا من البداية..

ولكن في النهاية... الجميع قد خسر

نوبة الضحك عاودتني حين قرأت أن من قامت عليهم الثورة ووضعتهم في السجون وقيد المحاكمة

قد خرجوا في غطاء قانوني ... أثبت القاضي أنهم لم يقتلوا ولم يسرقوا ولم يخربوا في الأرض أو يعيثوا فيها فسادًا وأنهم لم يظلموا أحدًا يومًا...

لماذا إذًا قامت الثورة؟ ... لا أفهم

ولكن من قاموا بها ... قيد السجون أو ماتوا .. وعاد العسكر يحكم

وقد تم إعاده تشغيل مصنع العفن مجددًا .. وبدأ كل شيء في التحول.



قرأت في أحد الكتب أظنه حمل اسم "سلوك الحكم" لكاتب تدل الخربشات على الغلاف بأن اسمه ربما " وسام حسن " ... على أن الثورات والشعب لا يمكن أن يحكمان...

قال إن الثورة تقوم من الطبقة الوسطى دائمًا..

حيث يبدأها الفقراء ولكنها تشتعل بالطبقة الوسطى..

لأنهم الأكثر نضجًا وتعليمًا وتنظيمًا وقدرة على ترتيب الأفكار والأولويات...

والتحدث أمام الجمهور بكلام يبدو علميًا منمقًا إن لم يكن كذلك بالفعل..

وإن نجحت أو فازت الثورة في معركتها،

يحمل بعض أبناء تلك الطبقة الوسطى على عاتقهم مقاليد الحكم

فيكون بداية حكمهم عادل ... يعدلون بين الناس ويعدلون عن الباطل

ويكونون مع الحق والخير والسلام...

ومن بعدها يبدأ مفعول الفيروس في الإنتشار...

هذا الفيروس الذي يكمن في الحكم، يكمن في مقاليد الأمور، يكمن في ذلك الكرسي المطرز بالألقاب والنياشين والأفاق المفتوحة..

فيدخل إلى عقلك ودمك، يعبث في جيناتك وخلايا عقلك..

ويحولك إلى حاكم... نعم إلى حاكم من طبقة حاكمة...

يجعلك تقلع قلادة الطبقة الوسطى وتتحلى بنايشين الطبقة العليا..

فتصير منهم ...وتكرر الدورة الطبيعية للحكم.

وربما بعد عشرات السنين يأتي من يثور عليك وتنتصر أو ينتصر هو.



وتحدث أيضًا الكتاب عن القمع...

فالقمع هو المادة الخام للحكم ...كل حاكم قامع ولكن مع إختلاف الأسماء والأساليب..

منهم من يقمع الشعب الذي تحرك لحادثة ما...

ومنهم من هو أذكى... فيقمع الحادثة نفسها...

يخفي الجريمة وربما يقتل الشهود...

ويقف أمام آلات التصوير وهو يضع إكليلًا من الزهور

على المقابر الجماعية لمن قتلهم.

وكان هناك كتابان أحدث منهم قليلًا.....يتحدثان عن ثورة متوقعة وعن تدريبات عليك أن تفعلها حين ذاك.

كانت هناك دروس في إحداها عن الإسعافات الأولية ضد غاز الأعصاب الذي يستخدم في فض المظاهرات الآن..

وهناك طرق بناء أسلحة بدائية الصنع من المعادن والأحجار الخاصة بالطرق، والتي في متناول أيدينا.

الكتاب مفيد فعلًا، يُمكنك من القتل بإستخدام أحجار الشوارع وتلك القوائم المعدنية .. هذا الكتاب كفيل بأن يهبني إعدام على أقل تقدير.

إستمتعت كثيرًا بالكتاب ولكني تمنيت لو أنه يمكنني أن أناقش الكاتب أو أعلق على كلامه...

حينها كنت سأقول له...



أنه لو حدثت ثورة كتلك التي تحدث عنها في ذلك العصر،

فسيكون قتلنا أسهل من ذلك .. ليس قتلنا فقط ... بل محونا

وأقصد محونا حرفيًا...

ستُمحى من الأخبار .. من الشبكة .. من العالم .. لن يقولوا مات أو فُقد

بل سيقولون لم يكن موجودًا يومًا ما.

تمنيت لو أقول له...

عزيزي الكاتب الذي لا أعرف اسمك مرحبا بك هنا

في قلب العفن الحي...

ما بك يا رفيق؟ الأمور أسهل من ذلك، لماذا تعقدها علينا وعليك؟

آلا تشعر أن الأمر لطيفًا؟ ..أو أنه من الرائع أن ترى الأمور بتلك السهولة؟

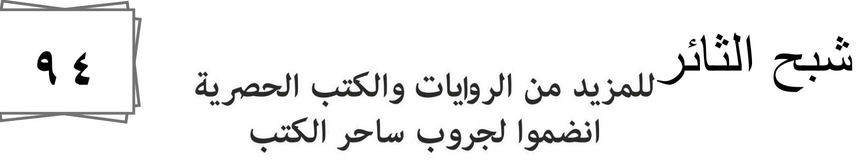
من السهل أن تقوم بثورة .. من السهل أن تقلب نظام حكم .. من السهل أن تُمحى من الوجود .. نعم ... كل شيء أصبح بتلك السهولة.

ولكنني للأسف ألقيت كل التعليقات في حلقي وسكت؛ لأني لم أتمكن من التعليق على كلام الكاتب.

الكتاب الرابع الذي قرأته كان الألطف والأسهل..

كان عبارة عن مجموعة من الأشعار تنتمي للقرن الماضي دون اسمٍ للكتاب..

مع اسم على كل قصيدة..





كان لشعراء مختلفين

أُعجبت ببعضها مثل تلك التي قالت...

"كسر حُقك ياللي مش عاوز وطن ديمقراطي رأس مالي سعيد

الشركة فيه أقوى من الأوطان" خُربشَ تحتها اسم "مصطفى إبراهيم"

وبعضها صادم واقعي مثل تلك التي تقول..

"إذا عشت يا ولدي

فإحرص على الصمت

ولو عذبوك لا تصرخ

فقد تزعج السلطان"

اسم ذلك الذي قد يصيبك بإكتئاب من قصائده "محمد عبد الوكيل"

وبعضها كان يضحكك كتلك التي تقول..

"ولدي نصحتك لما صوتي إتنبح

متخافش من جني ولا من شبح

وإن جاك عفريت قتيل اسألوا

مدفعش ليه عن نفسه يوم ما إندبح"

لم يكن هناك اسم كاتب ولكنها تجعلك تضحك تلك الضحكة التي قد تؤدي إلى الإكتئاب.



مجملًا كتاب الأشعار هذا كان ممتعًا جدًا..

فقد أثار فكري وشجاعتي أيضًا...

لم أبرح بيتي إلا بعد أن أنهيت الكتاب في اليوم الثاني وإتجهت إلى مركز التسوق..

حصلت على بعض من بديل القهوة.. والشاي، و بعض سجائر الروك التي أفضلها.

الطعام لم يكن يهمني فأنا أكره تلك الأطعمة الإصطناعية التي هنا..

كم أشتاق لحرب النوبة؟

حبوب التغذية هي المتاحة هنا ..هذا الشيء الذي يشبه طعام القطط، يحمل فيتامينات ومواد ومعادن بمقادير معينة وله نكهات، ربما

يضاف إليه الماء ويؤكل ساخنًا أو باردًا حسب الرغبة.

ولكن توجد فاكهة طبيعية، لكنها غاليه الثمن وتباع بالجرام..

فما كان يُعرف بالحلم الطبيعي إختفى، أو بالأحرى إنقرض..

سمعت أن هناك أشياء من قبيل الفاكهة واللحم المشوي موجودة في مدن سيناء وساحل المحيط الأحمر الذي كان قديمًا بحرًا صغيرًا.

بالتأكيد لم يصبح محيطًا، بل إتسع قليلًا؛ فأطلقنا عليه اسم محيط من باب التباهي، مع أني لا أجد ما يدعو للتباهي هناك.. غير مدن هؤلاء الناس الذين يصنفون أنهم لأكثر تطورًا منا، مع أني لا أعلم وجه التطور..

لا أفهم إن كانوا يتكاثرون ذاتيًا أو ما شابه ذلك، لكني لا أرى وجه مقارنة غير ذلك اللعين المسمى بالمال.



حتى المال لم يكن وجه مقارنة، فنحن نتعامل بالجنية أما عنهم فهم يتعاملون بما يسمى جنيهات بديلة.

الواحد من الجنيهات البديلة يعادل عشر جنيهات قديمة كما ذكرت إحدى الكتب التى قرأتها ذات مرة...

على كل حال لا يهمني الأمر فلدي مدينة هنا وهي مليئة بالعفن والبشر والتلوث وكل شيء.

غدًا اليوم الخامس .. غدًا الموعد .. لدي يوم غدًا لا أعلم ما به؛ لذلك

شربت القليل من ال P-black ..أو ما يدعى خمرًا .. وخبأت كتبي

وإستحممت، وعدت إلى الفراش ونمت، نمت وأنا أشبه حرف إكس كبير، أو أشبه برصًا عملاقًا سقط على السرير...

لا يهم ..فقد نمت وإنتهى الأمر.

الظلام حالك هنا...لا أرى شيئًا ..أين أنا؟ ..أحاول التحرك.. لا أستطيع .. هناك شيء ما يُقيد يديَ وقدميَ .. يبدو أنني جالس أشعر بهذا ... ولكنني لا أرى.

شق صغير من الضوء الساطع يتحول إلى باب ..الضوء شديد..لا أرى أي شيء .. أميرة .. شعرها الناعم وجسدها الرفيع ... تلتف حولي أميرة ...أميرة.. لا ترد

الضوء مجددًا ...السيد مختار.. يلف حولي ...لا يرد ...السيد آدم ..لا يرد...

أمجد...لا يرد...خالد...لا يرد...هناك نحو عشرين شخصًا لا أعرفهم لا يردون..



يلتفون حولي ..لا أحد يرد عليَ...أنا مقيد ... أصرخ... صوتي لا يفارق حنجرتي.

الضوء.. الباب.. زي عسكري مميز .. له وجه بغيض .. شارب غليظ .. خلع نظارته السوداء؛ فظهرت عينيه الحادتين ..نظر إليَ لم ينطق ..أشار لي فقط..

سحبني اثنين .. توأمان .. أعتقد ذلك... سحباني .. وقف الجميع .. كل الذين لم يردوا عليَ وقفوا..

توقفوا عن الحراك .. وضعوا أيديهم على أفواههم ..وضعوني فى حوض .. إنه الحمض .. أنا أذوب .. إنه الحمض ..عيناه تراني في شهوة .. يبتسم .. لم يتكلم .. أنا أذوب .. صراخي لا يفارق حلقي .. أنا أذوب .. إنه الحمض

....

يا الله كدت أموت حقًا ..كم الساعة؟ ..إنها السابعة ..عليَ النهوض.. جسدي يؤلمني.. من الواضح أن جسدي لم يذب..عرقي قد بلل الوسادة.

عليَ النهوض .. أعتقد أن الماء البارد سيزيل آثار العدوان .. إتجهت إلى الحمام .. إستسلمت لرشاش الماء البارد .. صورة الحلم لم تفارقني .. ماذا حدث؟. أهو إجهاد؟.. أعتقد أنه تأثير الإجهاد ... لكن أى إجهاد هو؟ ..لم أنزل من بيتي حتى .. إجهاد عقلي .. تلك الكتب تقتلني..

إجهاد تدفعه من خلاياك...من كل قواك العقليه، إنه كما يسمونه "ثمن المعرفة".



ربع ساعه بالقارب ..ساعة ونصف الساعة فى الطريق ..أربعة أدوار من السلالم .. صور صحفيين .. مبنى بلا لون .. مكتبي.. كوب بديل القهوة .. أُراجع ما سينشر اليوم.

جينز أزرق قديم .. قميص .. كان قميصًا بلا أكمام .. مربوط من أسفله ... مفتوح من الأعلى ..شعرها الأسود مازال منسدلًا .. قصُر قليلًا ربما .. بنطال أسود حريرى ..لا يفارق جسدها ملى متر واحد

حذاء أسود بكعبٍ عالٍ ..عينان واسعتان تحدقان بك..

يالله كيف لرجل أن يمارس عمله هكذا؟ .. هذا ضد حقوق الإنسان..

_أستاذ أحمد

أوقفت كوب بديل القهوة عند شفتي السفلى ..لم أسمح لأية قطرة من المرور إلى فمي..

_صباح الخير

_صباح الخير يا أميرة

_لقد أتممت بحثي الذي طلبته مني

_ تقصدين التقرير ..عليك أن تتعلمي كيف تفرقين بينهما إنهما مختلفان

_آسفة .. ولكنني أنهيته على كل حال

تفحصت ملفها الأخضر .. خطها جميل مثلها .. الصفحة الأولى

"أتمنى أن ينال تقريري تقديركم .. أتمنى أن أحوز على شرف إعجابكم"

آه لو تعلم أنها حازت عليه قبل أن تنطق اسمها حتى..



قلبت الصفحة .. العنوان.. "التلوث"

تجمدت عيناي على العنوان .. التلوث!! ..لا أحد يكتب مثل تلك المواضيع الآن.

قلبت صفحات التقرير في سرعة .. مراجعًا بعينيَ البيانات التي كُتبت..

من أين لكِ بالمعلومات؟ ..الشبكه ..لايوجد شيء بها ..كدت أسالها وتراجعت عن سؤالي .. ماذا أقول؟ ..لا أعلم .. سأفكر ..سأفكر...

_موضوع مميز ..وحساس..سأقراه وأرد عليكِ غدًا

ستداومين معنا كل يوم ..ستأيين كل يوم .. لنر .. ولكني متفاؤل بكِ جدًا

_شكرًا أستاذ أحمد

_العفو.. إذهبي إلى الغرفة المجاورة الآن ..هناك مكتب لكِ مع زملائك ..إجلسي .. وأعيدي صياغة الأخبار الموجودة فى الملف على مكتبك .. بعد أن تتعرفي عليهم سريعًا

_سأفعل... أى أمر أخر يا استاذ؟

_أجل... هناك شيء في غاية الأهمية

اسمي هو أحمد ..لا أحمل لقب أستاذ فى بطاقة الرقم القومي ..غير أن درجتي العلمية هى دكتور

_آسفة يا أ.. أ.. أحمد ..وداعًا

_وداعًا

أنهيت عملي...إنها الرابعة ..موعد الإنصراف الطبيعي ..سأبقى حتى يذهب الجميع ..ثم أرحل..





أرحل إلى تكوبي ..إن كانت الرسالة صحيحة فهناك شيء سيحدث هناك.

رحل الجميع وسحبت آلة التصوير وتوجهت إلى السيارة ..أتجه الآن إلى قلب المدينه المتعفن...

الخامسة تمامًا .. سلكت شارع شامبليون .. ثم إنحرفت فى تقاطعه مع شارع بيلز يسارًا..

المكان شبه خالٍ إلا من بعض المتسكعين..كنت سأطلق عليهم لفظ متسولين ولكن في حقيقة الأمر سكان قلب القاهرة جميعهم على هذا النحو ..لا يهم الآن..

طبقًا لإحداثيات القمر الصناعي ..سأدخل الشارع إلى آخره ..حيث سأجد ميدان تكوبي...

مبنيانٍ قد أكلها الزمن ..جرذان.. نفايات.. عربات فقدت كل شيء سوى هيكل عديم اللون والشكل .. هذا كل ما رأيته...

إنها الخامسة وخمس دقائق..أخرج من الشارع إلى ميدان تكوبي.. قد أخذت قراري مسبقًا بألا أترك السيارة ..وصلت.. هناك قرابة الخمسين شخصًا هنا.

هذا عدد ضخم بالنسبة لوسط المدينة.. لم أبرح السيارة وعددهم يزداد.. أقلب عينيَ فى الوجوه، أحاول الحصول على شخص أعرفه هنا .. لايوجد.. ماذا سيحدث؟ ..لا أعلم.

بقيت في سيارتي نحو ربع ساعة ..سأخرج ..ماذا سيحدث على كل حال؟

فتحت باب السائق..خرجت..توجهت لمقدمة السيارة ..فتحت الغطاء

سأتظاهر بأنني أصلحها إن حدث شيء ..أرفع عينيَ في محاولة أخرى يائسة لجوب الوجوه حولي ..لا أحد مجددًا.



ما هذا؟ ..هاتان العينان ...إنها هي ..هي بقميصها الجينز ونهديها النافرين وشعرها الناعم.

يا الله هذا ليس وقتها مطلقًا..لم ترني .. إني أتمنى هذا..ألا تراني

نحن فى تكوبي ..الآ ن فهمت ..فهمت من أين حصلت على تلك المعلومات في تقريرها؟

رفعت عينيَ لأتأكد منها ..نعم .. إنها هي .. وتقترب .. رأتني.. نعم إنها آتية..

أعدت عينيَ إلى مقدمة سيارتي المفتوحة ..وأغمضت عينيَ

هناك يد أمسكت كتفي..رفعت عينيَ ..خالد!! ..أميرة !!..لم أنطق تردد صدى تلك الأسماء في رأسي فقط...

بدأ خالد بإبتسامة خفيفة:

_أستاذ أحمد..لقد فهمت الرسالة

أممم ...أميرة ..أفترض أنكما تعرفتما مسبقًا

ردت أميرة عليه بينما أنا أقف محدقًا بصمت دون أية علامات على وجهي

_بالطبع..هذا رئيسي فى العمل يا خالد

_لم تكن تعرف أنها معنا..رغم بحث التلوث الذي قدمته.. أنا من إقترح عليها الموضوع بالمناسبة...

هي قريبتي نوعًا ما...



خرجت من صمتى بإبتسامه وقد تحركت يدي لتعبث بآخر خصال شعري خلف رأسي...

_ظننتها جاسوسة حينها ..ولكن حين رأيتها هنا ..فهمت كل شيء

ولكن قل لى ما قصة الرسالة؟ ..وما الذي يحدث هنا؟

_ليس هناك شيء يحدث يا رفيقي العزيز ..هذا نداء تجريبي ..نحن نخطط للتنظيف

_تنظيف!!

_أجل سننظف هذا العفن ..ستفهم قريبا ..ولكن اليوم ممتاز

نظرت حولي، كان العدد يقارب الخمسمائة حسب تقديري البصري

هؤلاء من حلوا الرسالة ..هل هناك من لم يحلها؟ ..لا أعلم ..هل هناك من حلها ولم ينزل؟ ..لا أعلم

_إن كنت تقصد العدد فهذا ممتاز ..ولكني لم أفهم بعد

_ستفهم غدًا ..الثانية في مكتبك..ستكون أميرة معنا

_لا لا لا ..ليس المكتب ..يمكن في شقتي

_أهي آمنة؟

_لا رجال شرطة في الجوار

_إذًا موافقون ..أميرة ستأتي معك من المكتب

أومأت أميرة برأسها موافقة .. قطع خالد الصمت وهو يربت على كتفي..

_عليك الرحيل الآن يا رفيق



_حسنًا أراكم غدًا..وداعًا

_وداعًا

_وداعًا

أغلقت مقدمة السيارة..دخلت..أدرت المحرك..تابعت طريقي مبتعدًا عن قلب العفن الحي..

ساعتان ونصف الساعة.. وكنت في البيت..إتجهت إلى الحمام مباشرة.. لدرجة أنني أخذت بديل القهوة معي...

وقفت تحت رشاش المياة وأنا أشرب بديل القهوة... سيء جدًا.. سكبت بديل القهوة في الحمام، تركت شلال المياة عاريًا، هناك القليل الباقي من زجاجة البي بلاك.. أخذت الزجاجة وعدت إلى موضعي تحت شلال المياة، ملأت حوض الإستحمام هذه المرة، هي ليست عادتي ولكني ملأت الحوض..ونمت فيه.

مشغل الموسيقى تنبعث منه نغمات هادئة للعازف "إستيفن دون" وبقايا البي بلاك..

غفوت ربما.. لا أعلم متى؟ .. لكني غفوت... ربما لساعة

أو ساعتين.. لا أذكر.

نهضت وإتجهت إلى سريري.. سأكمل نومي إلى الصباح.

لم أغلق مشغل الموسيقى ولكن عزف "إستيفن دون" قد إنتهى، وحلت موسيقى كلاسيكية تعزفها أوركسترا "فلاديلفيا بركيز".. البي بلاك إنتهت وإنتهى يومي معها...



سأنام .. إحتضنت الوسادة ونمت... لم أنم كحرف إكس كبير.. قلت لكم اليوم مختلف.

في تكوبي كنت حرًا نوعًا ما ..لم أكن أنا.. حيث الكوكب المنكوب،

أعتقد أن تكوبي كان خارج المجرة...

ربما الكوكب إكس ١٢٠ كما أظن..

صباح هادئ..سقطت البناية التي بجانبي وصحوت على صوت الإرتطام ..إلا أنه صباح هادىء.

لم أجد بديل القهوة أو الشاي ..ولكنه صباح هادئ..انتهت البي بلاك والروك..

إلا أنه صباح هادئ ..مصنع كبير لا أذكر ما يصنعه إحترق وقضي على العمال الذين لم يحصلوا على وسائل الأمان الكافية.. إلا أنه مايزال صباح هادئ..

هكذا قالت مذيعة الإذعة التى نسمعها بالإجبار، حين يكون هناك حدث مهم...

"صباح هادئ" قالتها بنبرة إستفزازية وألقتها كمن يلقي قنبلة في وجه المارة

عليك سيدي المواطن زميل الكوكب المنكوب الإعتراف بأنه صباح هادئ لأنك لو خالفت ذلك، أو نسيت إتفاقنا من البداية على عدم وجود دولة؛ ستكون عدو الدولة وعدو الجي آر سي كله.

لذلك هو صباح هادئ مفعم بالمناوشات الكيماوية على الحدود مع ال يو أيه الغربية.

أو ما ذكرتهم المذيعة أنهم جماعة مسلحة تهدف لسرقة إحتياطي مصر من اليورنيوم الفوق مشع..

هؤلاء الأوغاد.. لم أكن أعلم أن مصر تمتلك تلك المادة...أو بمعنى أدق لم أكن أعرف بوجود تلك المادة أصلًا..

على كل حال..هو صباح هادئ مع ربع ساعة بالقارب.. وساعة ونصف الساعة بالسيارة..وأربعه أدوار بلا مصعد..وبديل قهوة سيء المذاق..وطلبات من الحكومة بأن يلفق الحادث لتلك الجماعة التي أعتقد أنها ليست موجودة.

وإثبات أنها تسرق مخزون ما ليس لدينا من مادة ما ليس لها وجود،

حينها قررت أن يكون عنوان مقالتي "صباح هادىء..وكفى بها نعمة".

الحادية عشرة والنصف ..أتابع عملي الروتيني في رتابة.. وحيدًا في مكتبي ..الكعب العالي ..له صوت مميز، إنها هي مجددًا.. يالله ..إنها تعرف إختراع الأكمام ..نهداها لم يكنا بالخارج تلك المرة.

وبنطالها كان واسعًا قليلًا ..ولكن شعرها مازال منسدلًا على ظهرها

_أستاذ أحمد

نظرت لها وقد رفعت حاجبًا دون أن أنطق ..فتنحنحت وتقدمت خطوة ومدت يدها وقد إنفرجت شفتاها عن إبتسامة

_صباح الخيريا..أحمد

_صباح النور..تفضلي يا أميرة إجلسي

عملك اليوم ممتاز ..ما راجعته اليوم كله سينشر..ولكنك بحاجة إلى المزيد من القراءة... بحاجة إلى المزيد من التعلم لتكتبي بمفردك.. ولا تتحصري في إعادة الصياغة البائسة تلك..

_إحم إحم.. أعتقد أن تلك هي مهمة أحدهم ..وأظن أنه أنت

_هههههه... آسف أعترف بتقصيري..إذهبي وإستعدي للرحيل سنلتقي بخالد وبعدها نحدد موعدًا للدرس..بما أنك رفيقة في حركة الكتب السرية..فلا مانع لدي لأن أعلمك بنفسي

_شكرًا..أنا جاهزة للتحرك

_حسنًا .. إنتظريني..سأدخل للسيد آدم

ثم أعود وأصطحبك من هنا..

سيارتي التي أحببتها فجأة .. أنا وهي ..تواصلت مع خالد قبل تحركنا..بالطبع لم أقل له أنه لدينا إجتماع..

كنا نتحدث عن حفلة ستقام عليه إحضار خمر معه ..لم تكن حيلة جيدة .. ولكنها سيئة لدرجة أنه لن يلاحظها أحد.. تحدثنا أنا وأميرة طول الساعة ونصف الساعة في السيارة.. ولقد إكتشفت أنني أكرهها..

كم أكره تلك الفتاة عندما تحدثني بنبرة الأستاذ.. أستاذ أحمد ..قرأت كتبك.. مقالاتك.. أتابعك.. ستعلمني.. كم أكرهها.. منذ وقعت عينيَ عليها أُعجبت بها..

لست ساذجًا لأسميه حبًا ..هو إعجاب فقط .. لايهم.. بيننا أشياء كثيرة مشتركة ..هل هي تحبني؟...لا أعرف حقًا...

هي لم تظهر شيئًا ولم تخف أيضًا..لا أفهم..علاقة معقدة بين تلميذة وأستاذ عمرها أربعه أيام ..يا للسخف.



قابلنا خالدًا عند القارب ..إلى شبرا.. نحن في بيتي هنا..الباب بني اللون ..أشعلت الأضواء.. لم أنس شراء شاي وبديل قهوة وبي بلاك وروك وأنا عائد، أدخلتهم وأعددت ثلاثة كؤوس من البي بلاك، إمتنع خالد وفضل إعداد الشاي لنفسه، تحدثنا أو كفعلٍ أدق تحدث هو، قال أننا نواة في ذرة، وقال أن النواة قد تُحدث إنفجارًا نوويًا أحيانًا، قال أن هناك مخطط لقلب نظام الحكم، قال أننا نجاهد من أجل القضية، وقال أنني أكبر مسئول فيهم في القاهرة الحقيقية؛ لذلك تم إختياري لأكون ضمن مجموعة مسئولة عن الإعداد لذلك اليوم أو "يوم التنظيف" كما أسماه.

تحدثنا أيضا عن أميرة ..قال أنه أرسلها ..ستكون تلميذتي ومساعدتي في مهمتي..

تحدثنا عن أشياء كثيرة لكنه لم يقل شيئًا .. كان يفتح النقطة ثم يقول ستفهم وقتها..

فعل كل ذلك خلال نصف ساعة ..وأخذ أميرة ورحل..رحل... رحل كأنه حلم وإستيقظت منه.

إستيقظت على كأسين بي بلاك فارغين ونصف كوب شاي سيء،

مايزال اليوم فى منتصفه هل سأنام؟..لا أعلم ..هناك كتب لم أنهها بعد..

إذًا سوف أقرأ قليلًا حتى الحادية عشرة مساءً ثم أنام.

ها قد عاد يومي إلى روتينه بعد ذلك الحلم...

مرت الأيام برتابة .. تقترب مني كل يوم ..أحبها كل يوم ..نعم أصبحت سأذجًا وأقول حبًا.

علمت هذا يوم كانت في بيتي نعمل على ملف ضخم طُلب منا فى الجريدة كان بخصوص ال يوأيه ..



كان عليَ أن أُكون ملفًا عن فضائح سياسية لهم، الأمر سهل حيث تمتلك الجي آر سي شبكة ترويجية لفشل ال يو أيه، لا يهم الآن .. كنا هناك، كانت هي واقفة عند مكتبتي الشرعية تتفحصها وتضحك على الكتب الحكومية بها، وكنت أحاول إقناعها بأن هذا واجب وغطاء جيد.. حين إلتفتت ووقعت عيناي بعينيها الواسعتين، كان البي بلاك يلعب بعقلي وعقلها، لم نسكر ولكنك تتعمد السكر حينها، لم أشعر ولم أتذكر متى كان ذراعي على ظهرها وهي على صدري، حركت يدي بتوازن، لا أريد أن أُسرع فتصاب بالذعر أو أبطيء فتصاب بالإحباط، تذوقت شفتيها.. لم يكن لها طعمًا .. لم يكن لها طعمًا معروفًا، شيء ما ليس حلوًا كالسكر ولا مالحًا حتى، ليس شيئًا معروفًا.

أنهيت قبلة طويلة كنا قد بدأناها قبل قرن من الزمان أو هكذا شعرت... نظرت إلي وذهبت، ذهبت.. إكتشفت ذلك حين لم أجدها بأحضاني، ذهبت ولم تقل شيئًا.. دخلت الحمام، تخلصت من ملابسي.. رشاش الماء البارد.. أكان حلمًا؟ إن عقلي يثبت أنها لم تأت اليوم، إذًا كان حلمًا...

طرقات الباب .. إرتديت شورتًا فقط.. نسيت أن أكمل .. فتحت الباب .. لقد أتت.. هي .. هي بكل ما كانت عليه ... "أحبك" هكذا قالت وإرتمت بأحضاني، أغلقت الباب برجلها، وذهبنا في قبلة إستمرت قرنًا آخرًا من الزمن، كنا قد دخلنا حجرتي، رقدنا على سريري، لم يحدث شيء كما قد تنبأت عقولكم، كانت نائمة على صدري فقط، وصامتة ... وأنا صامت أيضًا ثم نامت.. نامت تمامًا.

طنين المنبه، إنها السابعة صباحًا، ألتفت حولي .. أميرة ليست هنا، كنت أحلم إذًا، أجل كان حلمًا ..فقد رحلت، الباقي كان حلمًا .. أحاول تحرير جسدي من السري، إعتدلت جالسًا قدميَ على الأرض...رأسي تؤلمني..

إنه العرض الجانبي لتناول البي بلاك ليلًا..



.. رفعت رأسي مجهدًا .. ما هذا؟.. قميص!! إنه قميص فقط .. أمازلت أحلم؟

عيناها الواسعتين تحدقان بي، شعرها مازال منسدلًا في حرية .. ترتدي قميصًا..قميصًا فقط .. كان طويلًا ليغطي فوق ركبتيها بمسافة لا بأس بها...

_صباح الخير يا حبيبي

لم أفهم، إن لم أرد أسأستفيق من الحلم حقًا؟ .. لا أعلم، تراجعت بجسدي فجلست على السرير..

_صباح الخير يا حبيبي

_قد مالت عليَ، أو جلست بجواري .. ولامست بيدها وجهي، لا يمكن لحلم أن يستمر لهذا الحد

_صباح الخير..ما بك حبيبي؟

صمت لثوانٍ أخرى، حدقت في عينيها بقوة.. و فجأه إلتهمت شفتيها.. لا ليس حلمًا، آه .. يا الله

_صباح الخير يا قلبي

_ما بك؟

_لاشيء.. كنت أحسبك حلمًا

_أنا هنا معك... أحبك

_أحبك.. بل أعشقك



لا أتذكر ما حدث يومها، ولكننا قد أخذنا إجازة في ذلك اليوم، لم نذهب إلى العمل ولم نفارق البيت .. لا أتذكر ما حدث بالضبط، ولكنه كان شيئًا سعيدًا .. ولن أذكر ما تذكرته، فأعتقد أن خيالكم قد نسج لكم تلك السطور التي لم تقرؤها .. نعم، كل ما تخيلتموه صحيح .. وقد حدث ما هو أكثر..

.. أقامت معي في شقتي بشكل دائم .. نذهب للعمل سويًا ونعود سويًا

تحدثنا عن الزواج فرفضت..

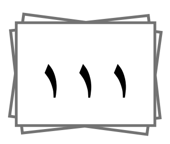
لن تنجب أبناءً ليكونوا وقودًا لذلك العفن..

قالت أحبك .. سأعيش معك كحبيبين و صديقين، قلت الإستقرار..

قالت أنها لم تسمع من قبل عن ذلك الإختراع، كنت غبيًا .. عن أي ًستقرار كنت أتحدث .. سيقتلونني أو يقتلونها في أي لحظة .. سنصاب بأي من الأمراض التي أصبحت في كل مكان، و نموت دون لحظة وداع واحدة..

لم يكن هناك معنى لذلك الشيء المسمى إستقرار ..لكي أطالب به، كانت على حق تلك المرة .. تلميذتي الصغيرة غلبتني، كنت أعلمها كل يوم،

أقرأ لها وهي على صدري أو تقرأ لي وأنا على حجرها، نقرأ سويًا، نتناقش، كنا أحيانًا ندعو خالدًا للغداء، علاقتي به تحسنت، كنا نقترب من بعضنا أكثر في كل مرة، لم نبدأ بعد بالعمل كما قال لي، كان يقول أن دوري لم يأت بعد، إرتباطي بأميرة زاد حصة الكتب لعشرين كتاب شهريًا، لم يكن أحد منا يصرف على البيت بالمعنى الحرفي للكلمة، كنا نتشارك دون تنسيق، كلًا منا كان يجلب ما يجده مناسبًا.. غيرت بشقتي كثيرًا، إشترينا حوض إستحمام جديد لكي يتسع لكل منا، غيرنا بعض الأثاث، أو بمعنى أدق إستغنينا عنه.. كانت تحب الجلوس على الأرض، وأنا أيضًا أصبحت كذلك.. أقصد بالطبع أنني سأحب ذلك، كنا نتقارب في الطباع.. كنا ..كنا ببساطة متحابين جدًا.





كنت في مكتبي أتناقش مع أميرة التي أصبحت مساعدتي، كان هذا بفضل مجهودها بالطبع، فأنا لم أقل للسيد آدم إلا أني أحتاج إلى مساعد، ورشحت له إسمين ..
أميرة، وقد ذكرت كل مزاياها، و لم أذكر أية عيوب، و اسم محمد أشرف زميلها في القسم، لم أذكر عنه شيئًا، تركته يفكر في الموضوع، وقد أصدر قرارًا بتعيينها بعدها بيومين.

كنا نجلس ونمارس عملنا الطبيعي، حين دخل علينا خالد، كان يلهث .. ما بك؟ لم يرد .. ظل يلهث، أخذناه إلى منزلنا وقد غاب عن الوعي .. خالد .. لا يرد .. ماذا حدث؟ .. نام طوال اليوم ونحن لا نعلم ماذا حدث له حتى الآن؟

حين إستيقظ رفض أن يأكل، أصر على أن نتحدث أولًا، قال لي أن هناك خطر .. لم أفهم كلامه جيدًا، كان يتحدث بسرعة ويسكت كثيرًا، لقد كُشف أمرنا .. أو سيكتشف قريبًا ألقاها في

وجهي.. حينها أمطرته بسيل من الأسئلة، قال أنه أمس كان يُطارد من قِبل رجال الشرطة..

وأنه نجى منهم بأعجوبة، فقد إنفجرت سيارة ما كانت تفصلهم عنه؛ فاستغل الموقف وإختبأ في إحدى المباني التي أكلها العفن، رجال الشرطة غير نشطين في وسط المدينة، ولكنهم طاردوه، رأوه يحمل لفافة، وأرادوا أن يتأكدوا، كانت كتبًا بالطبع .. جرى، جرى .. ولم يمسكوا به، وهو الآن هنا .. قال لي أن الوقت قد حان، سألني عن الحقيبة التي كانت معه، قلت لم أرها، قاطعتنا أميرة .. قالت ربما بالسيارة، نزلت مسرعًا نحوها، فتشتها.. فوجدت الحقيبة بالخلف.

عدت مسرعًا .. ففتحها وأخرج أجهزة وأسلاكًا، كتمت أميرة أنفاسها، في حين تفاجأت وقد خرج صوت من حنجرتي يقول "قنبلة" بالطبع لم تكن قنبلة كانت كما فهمت وصلة إنترنت محلية، مثل تلك التي إستعملتها بالنوبة،



قلت له أنا أعرف ذلك الشيء، كان خالد ماهرًا .. لقد نفذ إلى الشبكة بذلك الشيء ببراعة شديدة، وبعث رسائل لم أقرأها لبعض الأشخاص، ثم وجه إليَ كلامه..

_غدًا ستأخذ إجازة من عملك، أخبرهم بأن قريبك الذي أتى البارحة متعب جدًا وستعتني به
_لماذا؟

_لدينا إجتماع هام.. ستحضره معنا... وحدك

صمت..فأكمل حديثه.. وأنتِ يا أميرة ستذهبين إلى العمل، فعلى كل شيء أن يبدو طبيعيًا.

ردت أميرة في إرتباك ..

_سأفعل.. حسنًا، سأفعل

قاطعت الصمت الذي إستمر لثوانٍ، تحدثت وأنا أبتسم وبنبرة ساخرة..

_هل هناك شيء آخر؟

رد خالد متجهمًا.. _الآن لا يوجد شيء آخر
فأكملت ساخرًا...

_الآن إذًا وقت الطعام، إني أتضور جوعًا يا رجل

إبتسم خالد الذي لم يبتسم من الأمس، وقمنا جميعًا لنحضر الطعام...

نام هو في الصالة، أنا لم أنم ولا هي أيضًا..

فور دخولها الغرفة نظرت إليَ وكانت الدموع تبلل ملامحها .. لا تصرخ ... لا تفعل شيئًا سوى الدموع، تكلمت فلم تنطق.. بين الحزن والإبتسامة تشنجت عضلات وجهها، وكأنها تجمدت، ظلت تدمع.. لحظة.. ساعة .. دهرًا من الزمن.. بقيت تدمع...



إحتضنتها.. هدأتها فلم تهدأ، ضممتها إليَ بقوة..

_ماذا بكِ حبيبتي؟

_ عرفت هذا الشعور أخيرًا..

هكذا رددت.. عدلتها ونظرت في عينيها؛ فأكملت..

_لم أخف يومًا في حياتي، لدرجة أني لم أعرف شعور الخوف، ولدت لعائلة مناهضة للنظام الحالي، تربيت على صوت الرصاص خلف والدي بالجوار، وعلى صراخ أمي يوم إختفى.. فلم أخف، ولكني الآن خائفة...أحبك .. لقد أحببتني، كنت أميرة بحياتي العملية والعلمية، أعمل من أجل إسقاط النظام الذي محى أبي وأمي من الوجود والتاريخ والماضي والمستقبل..

ولكنك أعدت إليَ الحياة، أحبك .. أخاف أن تضيع مني مثلهم، لم يبق لي سواك..أحبك.. أحبك..

كررتها مرارًا ومرارًا وهي تدب بقبضتها على صدري .. إرتمت في أحضاني، غفت لدقائق، لم تغف إلا لدقائق.. وحين فتحت عينيها.. كانت صوب عيني، فعانقت شفتاي شفتيها، ضعنا في قبلة .. بل ضعنا في ليلة ... كانت كما لم تكن من قبل، وكأنها كانت تفعل كل ما يمكن أن يحدث، حتى لا تفوت شيئًا إن لم ترني مجددًا.

آخر رشفة من كوب بديل القهوة، إحتضنتني من خلفي وأنا أنسق ملابسي...

_سترحل الآن...

_لا تقلقي

_كيف لا أقلق؟

كان ردي حينها أن أذبت شفتيها بين شفتي..

قاطعنا صوت خالد العالي مع قليل من الخشونة..



_أنتهيت يا أحمد؟ .. يجب أن نرحل الآن

_قادم ..قادم

فككت يد أميرة من حولي، وهي تنظر في عيني والدمع يكاد أن يسيل

_ لا تقلقي حبيبتي.. سأكون بخير .. لن يحدث شيء .. هو مجرد إجتماع عادي

_أجل .. إجتماع عادي مناهض للدولة .. ياله من أمر معتاد
_أرأيتِ؟

_أتمزح؟

_أحبك..

_وأنا أيضًا أحبك.. فلتعتني بنفسك.

_لا تقلقي .. هيا حتى لا تتأخري على العمل.

نزلت إلى العمل وبعدها بخمس دقائق نزلنا أنا وخالد إلى موعدنا الذي لا أعرف إلى الآن أين هو..

تركت سيارتي بعد أن أخذت مسدسي منها، إنتهت صلاحية ترخيص السلاح الناري ولكني مازلت أحمله.. لم أستخدمه في حياتي سوى للتدريب عليه من حين لآخر كنوع من الألعاب أو للتسلية، فيما عدا حادث تعرض له خالد، وأعتقد أن الأدرينالين هو الذي لعب بعقلي حينها وجعلني أفعل ذلك...

سحبت مسدسي من السيارة وخبأته في ملابسي، كنت أرتدي سترة الحُلة الرمادية على قميص بنفسجي اللون، وبنطال جينز أزرق، خبأت ذلك السلاح في السترة ... إتجهنا نزولًا أو ربما صعودًا إلى حلوان، إستققلنا عربات الهواء الحكومية المهترأة، نزلنا في منطقة لا أعرف اسمها، فلست جيدًا في الجغرافيا، تلوينا في شوارع متعرجة، كنت أجتهد في حفظ



الطريق، لكن صدقوني الأمر كان صعبًا للغاية، الشوارع كانت ملتوية يمينًا ويسارًا.. لأعلى ولأسفل.. كنا نجد في المشي، الشوارع كانت تحوي بيوتًا وأبوابًا.. لكن ليس هناك بشر، لم أقابل إنسيًا حتى الآن، كنت أشعر بالخطر، ربما تأثير المكان..تحسست مسدسي من حين لآخر..

وصلنا إلى مبنى مهجور في النهاية، له فناء كبير، كان مصنعًا أو شيئًا ما ضخمًا قديمًا.

صوت الحصى كان عاليًا تحت قدمي.. أعلم أنه ليس كذلك؛ ولكنه أدرينالين الخوف يضخم كل شيء.. لا شيء سوى بعض البراميل القليلة والغبار..

كان هناك أربعة أشخاص بالداخل، الجميع يبدو أنهم تقريبًا في حدود عمري أو أكبر قليلًا، كنت أنا أصغرهم على كل حال..

حدثهم خالد عني، ليس بالمعنى الحرفي، بل قال

_ هذا هو أحمد الذي حدثتكم عنه

بدأوا بالسلام عليَ بالأيدي مع التعريف، كانوا يقفون من اليمين إلى اليسار،

"محمد، مينا، بهي، بلاي"

"بلاي" ؟ تعجبت من اسمه في البداية، لا أظن أن اسم بلاي حقيقيًا..

لم أهتم حينها..كانت رهبة المكان تتملكني..

جلس بعضنا على البراميل، خالد كما يبدو كان قائد المجموعة ..

هذا ما خمنته..



لا أعرف أحدًا منهم، قال خالد أنني الوحيد المعروف للعامة؛ لذلك فأنا واجهتنا الإعلامية ..

إسمنا يوم التنظيف ...هكذا قال...جميعهم كانوا يفقهون المسألة الفنية التي تخص الشبكة وكيفية المرور الآمن...

تحدثوا عن ضرورة التحرك .. كنت صامتا حين قطع

بلاي صمتي.. وجه إلي سؤال حاد

_وما رأيك أنت أيها الصامت؟

انتبهت لكلامه .. تنبه القائم من نومٍ عميقٍ، ابتلعت ريقي وبدأت بالتحدث

_نعم، نعم .. لابد من التحرك بسرعة، هناك خطر دائم، علينا أن نباغتهم قبل أن يباغتوننا، فأكثر من نصف قوتنا "المفاجأة".

وسكت فجأة كما تكلمت .. نظر الجميع إليَ، لم أعرف فيما يفكرون، ولكن خالد قد تدخل صارخا

_أفكار .. هل من أفكار؟

فإنقض مينا بكلامه متهجمًا

_ألسنا متفقين من البداية ولدينا خطة .. فماذا حدث؟

رفع خالد رأسه بعد أن نكسها بين قدميه

_أفكار .. لم أقل خطة .. قلت أفكار، كيف نبدأ؟



كان الامر صعبًا، شعرت بأن الاجواء كانت متوترة أكثر من اللازم، لدرجة أني كدت أشاهد إلكترونات الشحنة السالبة في الجو..

قام مينا الساكت من ثباته، وقف وعدل نظارته وتنحنح .. وقال:

_علينا أن نراجع أنفسنا

نظر الجميع بحدية .. فتحدث مسرعًا

_قصدت مراجعة الخطة

"تفضل"... هكذا قال خالد بعد أن خفت حدته قليلًا

فتابع مينا الكلام

_لدينا عدد من القارئين لا باس به...

ولكن تنظيمنا الداخلي قليل وهذه نقطة قوة وضعف في آن واحد

يعتمد على إستغلالنا لها..

لدينا بعض الأسلحة المهربة لنا عن طريق ال يو أيه بسرية

ولدينا تقنيون، أو نحن تقنيون نستطيع أن نحتل الشبكة، أو على الأقل جزء كبير من الشبكة..

لذلك أرى أنه علينا تجميع الناس في زمن أقصاه شهر واحد،





وأن نحاول الحصول على دعم مالي وأسلحة من ال يو أيه...

ولا فكرة لدي عن البداية ..

صمت الجميع لحظات ..الجميع كان يفكر، وفجأة انطلق بهي بلسان متلعثم قليلًا في حماسة كانت ظاهرة في عينيه الشاحبتين

_ سلسلة إغتيالات .. لدينا قائمة عن أقوي رجال النظام، إن صفينا عدد لا بأس به سنكون الأقوى .. أو بمعنى أدق سنربكهم..

.. ولكن المشكلة أنه ليس لدينا سوى نحن لنتدرب على السلاح

وحدث كهذا سنحتاج إلى عدد كبير للتنفيذ على دفعة واحدة، من أجل عنصر المفاجأة..

حينها صاح محمد

_من منكم يستطيع ضرب النار.. بدقة ؟

فلم يرد أحد .. فتابع...

_الآن لدينا خمسة أهداف يمكننا أن نبدأ بهم..

أنا كنت بارعًا في ضرب النار، ولكن هذا على الأهداف الثابتة،

وكان هذا منذ زمن، لا أعلم إن طُلب مني قتل إنسان أو حتى شيطان.. فهل سأستطيع؟



هكذا كنت أفكر حينها.. فعندما دق خالد بقدميه الأرض، أصدر لنا الحصى أوامره بالإنتباه..

_علي كل منكم تكوين خلية من أربعة أشخاص يثق بهم .. وستساعده تلك الخلية في تنفيذ مهمته .. أمامكم أسبوعًا .. أعلم أنه غير كافٍ و لكن على من لم يكون مجموعته .. العمل وحده وسيتحمل كل شيء، سأعمل أنا وبهي على تقليص القائمة السوداء لرصد الخمسة الذين سيقدمون دمائهم فداءً للثورة..

وسنرصد تحركاتهم والأماكن المناسبة للتنفيذ، في حين سيقوم بلاى بقلب الشبكة رأسًا على عقب، سيحصل على صور العناصر الرئيسية في بلاد الجي آر سي، ويحصل على صور تثبت مدى رفاهيتهم وتطورهم ومدى تخلفنا..

محمد.. ستقوم أنت بالتنسيق مع عملاء ال يو أيه ..أعلم أن الإبتزاز هو وسيلتك المفضلة..

أظهر الجميع إبتسامة الحماسة تلك مع لمعان العيون،إلا أنا كنت صامتًا؛ أنتظر دوري، وأنا لم أنطقها ولكنه فهم، نظر لي خالد وقال: أما أنت أيها السيد المحترم، فستمارس عملك بشكل طبيعي..

لم أفهم ماذا يقصد ولم أسأل، إكتفيت برفع حاجبي الأيسر لأعلى مع تمايل جانب الشفاة الأيمن لأسفل، فعاود كلامه...ستكتب مقالات عن إنتهاكات الحكومة والغضب الذي في الصدور وأشياء كتلك التي في كتبنا، وترسلها إلى بلاي..وسيغرق بها الشبكة... سيرسلها إلى قرابة المليار شخص في الشبكة، طبعًا باسم مستعار، ماذا تفضل أن يكون؟

سكتُ لحظة ثم قلت:

_"ريبل"

حين نطقتها نظر إليَ الجميع وقال خالد:

_أتعرف معناها؟

قلت:

_أجل.. المشاغب أو السيء.. كانت تترجم هكذا في الأفلام على ما أعتقد، وخصوصًا أفلام الأطفال

فضحكوا... وواصل خالد:

_أجل يا سيدي، لقد وصلوا إلى العبث باللغة، معناها..."ثائر".. فهكذا تقول كتب اللغة المهربة إلينا..

صمتث لحظة ثم إبتسمت وقلت:

_حسنًا، لتكن "ريبل سبيكتور"...

فإنفجر بلاي في حماسة:

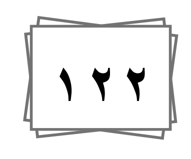
_هذا رائع، سأستلم منك أول مقالة غدًا

وقف خالد وقال:

_الآن ننهي إجتماعنا، على الجميع أن يرحل كما آتى..

عدنا من حيث أتينا، أتعجب من كيفية حفظ تلك الطرق.. لا يهم.. عربات الهواء مرة أخرى، وحضن أميرة الذي أفتقده، الأمر لم يستغرق ساعة ونصف الساعة على الأكثر.. لكني كنت متعبًا، كان هناك أحدهم داخل جمجمتي ويحاول حفر نفق للخارج.. حكيت لها ما حدث ونمت من شدة التعب في حضنها حتى الصباح.







الفصل الرابع

أيتها الأشباح .. ثوري
وإصرخي
وأتحفي قاتليك بالزيارة
وأوصليه إن إستطعت للجنون
لا تخافي
.. بعد موتك
لن يضرك ألف سوط
واعبري بين أركان المدينة
هددي السكان
حطمي الجدران
كي يتجدد الكابوس
ربما ينهض الموتى الذين يدعون بأنهم أحياء
يكسروا الأصفاد ..كي يتحرروا
" محمد عبد الوكيل"



"SPECTER"

" الشبح "

الموت للجنرال .. الموت للعامة
الموت للجلاد .. الموت للأمة
الموت للحرية .. الموت للأحرار
الموت للضابط .. الموت للتجار
الموت للموتى .. الموت للأشباح

" القاهرة -٢١٣٠ "







صحوت على صوت قراءتها، كنت أنام على صدرها كطفل ..

_أنتِ تقرأين

.. الساعة تقارب السابعة صباحًا

_حبيبي، أأزعجتك؟ .. أنا آسفة

_لا بأس حبيبتي، أنا مستيقظ بالفعل.. فقد نمت مبكرًا أمس

_بديل القهوة، أم إفطار؟

_بل شفتيكِ، وشريحتان من اللحم الصناعي وكأس من البي بلاك

قبلتني في شفتيَ وإنسلت من تحتي لتعد الإفطار..

يدي خلف رأسي، أفتح قدميَ كحرف إكس كبير، غبت في تفكيري .. أين أنا الآن؟ ماذا حدث؟ من أقحمني في ذلك كله؟

أتذكر أنه كان لدي حياة وعائلة وعمل، مازال لدي عمل .. ولكن لم يعد لدي حياة..

ضاقت بيَ حياتي بسبب تلك الكتب، من صحفي في جريدة إلى سفاح سيقتل أحدهم قريبًا..

لا.. ليس قتلًا، بل سأقتل .. ولكن باسم الثورة، باسم يوم التنظيف، باسم الشعب .. ولكن أي شعب؟ ماذا لو لم نكن نحن الشعب، ماذا لو كانوا هم الشعب، أعضاء الحكومة وسكان سيناء .. ماذا لو كانوا هم الشعب؟ .. فمن نحن؟ .. من نحن لنفعل ذلك؟

من نحن لنطالب بالتنظيف؟ .. بل لنفعله .. ولكن لو كانوا هم الشعب، فمن حاكمهم؟



بالطبع الجي آر سي .. ولكن متي كانوا الشعب؟

فكل الكتب تقول أننا نحن الشعب، ربما تكذب لذلك يحاربونها.. ..
ولكن إن لم نكن نحن الشعب، فمن نحن؟ .. من نحن؟ .. فضلاتهم! أم ماذا؟

ليذهب هؤلاء الحثالة إلى قعر الجحيم، ليموتوا أو لينفجروا .. ساقتلهم، أجل ساقتلهم جميعًا .. سأقتلهم باسم اللاشيء،

باسم من مات أو قُتل أو إختفى أو سُجن أو تعذب على أيديهم..

سأقتلهم باسم ريبيل سبيكتور.

قاطعت أفكاري رائحة اللحم الصناعي وصوت أميرة من الردهة..

كنا نتناول الأفطار بينما نتحدث بشأن أمس، ذكرت لها أمر المجموعات، وأنه عليَ أن أكون مجموعة لتنفيذ عمليات إغتيال، أو بمعنى أدق عملية واحدة ... تفاجأت من الخبر..

كانت قلقة ... قلت لها أني لن أفعل ذلك .. إرتاحت قليلًا حتى قلت لها أني أقصد أمر المجموعة فقط .. سأنفذ العملية وحدي، تناقشنا مطولًا حول الخطورة .. وماذا سيحدث إن أمسكوا بي..

كان إقناعها سهلًا .. كأنك تقنع أحدًا ما في قارب يغرق بالقفز في الماء..

سيكون هذا يوم التنظيف، إن لم أفعل فسيقبض عليَ لإني أشارك .. وإن لم أشارك، فسيقبض عليَ لأني أقرأ .. وإن لم أقرأ ، فسيقبض عليَ لأني مازلت حيًا على الأقل ...

الخطورو واحدة.. أقنعتها ولكن بعد أن أقنعتني بأنها يجب أن تكون بجانبي، وأن المجموعة ستكون أنا وهي فقط.

وافقت لأرضيها، مع أني لم أفهم بعد ماذا سيحدث؟



ولكن إن كنا سنموت جميعًا... فلن يحدث ما هو أسوأ على كل حال.. أنهينا إفطارنا ونزلنا لنتابع أعمالنا بشكل طبيعي، اليوم سيكون شاقًا، بخلاف القارب والسيارة والأربعة أدوار بدون مصعد، ومذاق بديل القهوة، وروتين العمل والقاهرة بكل ما فيها من سيء معتاد، سيكون اليوم شاقًا... علىَ أن أكتب مقالات اليوم... مقالة عن دور الجي آر سي والحكومة في مكافحة التلوث، والثانية عن دور الجي آر سي والحكومة في زيادة نسبة التلوث بإرتفاع مجنون، وهذا باسمي المستعار طبعًا..

قالت لي أميرة: أخشى من إزدواجية الفكر تلك، قد تحولك إلى منفصم الشخصية في النهاية..

مر يومنا بشكل طبيعي، عملنا بجد، وأرسلت المقالة التي تحمل اسم ريبيل سبيكتور.. أرسلتها في شكل فيروس حاسوب كما كتب لي خالد، لم أفهم العملية ولكن نفذتها كما كتب لي على ورقة، نفذت الخطوات ونجحت في تحويل ملف مقالي إلى فيروس لن تلاحظه الشبكة ولن يُراقب...

في غضون ساعة كانت الرسالة قد وصلتني شخصيًا، رسالة من مجهول تحمل اسم ريبيل سبيكتور وأسفل الإسم الترجمة الصحيحة "شبح الثائر"...

الشبكة كلها ترى ذلك وتتحدث عنه الآن، السيد آدم إستدعاني لأرى، على إعتبار أنني لم أشاهد ما يحدث..

الرسالة لا تُمحى من الشبكة لأنها ليست عليها، اسم على مسمى ذلك البلاي...نعم بلاي.. أجل إنه اللعبة... أجل...

الرسالة شبح على الشبكة... هل رأيت يومًا أحدهم يطلق النار على شبح.. وإن فعل فهل يُصاب الشبح؟... الرسالة

تقول تبًا لحوائطكم النارية ولوسائل الحماية في أجهزتكم، ولسيطرتكم على الأجهزة وعلى كل شيء... تخترق الأجهزة... تضع نفسها على الجهاز وعلى كل شيء......



تسيطر بالكامل،عليك أن تقرأها جبرًا، لقد عطلت الحكومة الشبكة ساعة ونصف الساعة ولم تصل لحل، الرسالة وصلت للجميع تقريبًا، الرسالة ملأت الشبكة... كان هذا نجاحًا باهرًا، كانت إبتسامة أميرة متسعة... بينما توقفت فجأة عن الإبتسام... إنتابتني رجفة... لم أعرف مصدرها، ولكني شعرت فجأة أن هناك شيء ما خطأ... ولكني لم أظن أن الأمر قريب لتلك الدرجة.

بيان الحكومة عن الرسالة كان إنتصارًا لنا، ألقوا بالبيان في أقرب سلة مهملات لهم، البيان تضمن أنها إحدى ألعاب اليو أيه لتفكيك الدولة، وهدم الإستقرار وزعزعة الأمن... وأن الشرطة سوف تقبض على المتورطين، داخل الأراضي في حال التعرف عليهم، وأن عمليات البحث جارية...

لحظتها بدأ كل شيء ... كنت أشعر أنني أقف أمام ساعة تعمل على العد التنازلي .. ١٠/٩/٨/٧/٦/٥/٤/٣/٢/١/٠

......بووووم... إنتهت حياتك أيها الكاتب والمفكر، بووووم ... إنتهى كل شيء... بووووم ... إحترقت الكتب والمدينة وأميرة وكل شيء.... بوووووووووووووم.

ذهبنا إلى البيت، كنت شبه صامت طوال الطريق، فهمت أميرة أني لا أريد التحدث، أو أني لا أستتطيع الآن...

دخلنا إلى البيت، إحتضنتني..

_ما بك حبيبي؟

_خائف

_أنا بجانبك

_أنا خائف عليكِ أنتِ أيضًا



تحدثنا حول ما يحدث وعن خوفي، هدأت قليلًا وبدأ عقلي يفكر مجددًا بعد الحديث، أبهرتني.. قالت أو بمعنى أدق كتبت على مفرش المائدة.. "إن كان للموت بد.. فمت وأنت تقاتل".

تحدثت عن مجموعتنا، نحن مجموعة ستنفذ مهمة إغتيال من أجل يوم التنظيف... قالت أنها تملك القليل من اللياقة البدنية، سنتمرن سويًا،، ولكن أين؟.. لم نحظ بقسط من الراحة يومها، أعادت الجدار الخشبي السميك إلى الصالة.. أتذكرونه؟ .. ركبته أو بنيته، أصبحت هناك غرفة صغيرة في المنزل الآن، بنت فيها أميرة بعض العوارض الحديدية بترتيب وشكل معين، قالت أنها الطريقة البدائية في تدريب العضلات...

سنتمرن كل يوم ثلاث مرات، بعد ساعة من كل وجبة، وسأهتم بنظامنا الغذائي إلى جانب تمرينات التنفس، هكذا قالت لي...

كل هذا كان جيدًا، أستطيع أن أضرب وألكم وأجري وأهرب جيدًا بعد تلك التمرينات، ولكني لن أقتل، لن أصوب عليه، لست بتلك المهارة، أنا أعلم، أعتقد أنه يجب أن أحدث خالدًا بهذا الشأن...أنا غير صالح للقنص، أنا مجرد كاتب يمتلك سلاحًا ناريًا قديمًا إنتهت رخصة حمله له.... طرقات سريعة على الباب أيقظتنا، إنها السابعة على ما أعتقد.. لفت أميرة ذراعيها حولي وإختبأت بصدري..

_أنا خائفة

كان صوتها خافتًا..أزحتها عني وأمرتها بعدم إصدار أي صوت، خرجت إلى الردهة.. نظرت من العين السحرية بالباب.. لا أرى من بالباب.. يا الله .. إنه خالد، فتحت الباب فإنسل سريعًا، نظرت فلم أجد أحدًا خلفه أو على السلم...

_ماذا حدث؟ كيف تأتي في وقت كهذا... ماذا حدث؟

_إهدأ .. الموعد جيد ولا أحد خلفي فلا تقلق

_ماذا حدث؟ لماذا أتيت؟



نظر إلى الحقيبة ولم يرد، أخرج علبتين منها، ورفعهما أمام وجهي وقال:

_أتيت من أجل هذا..

لم أفهم ولم يعطني فرصة لأسأله

_أحضر أميرة وتعاليا بسرعة

دخلت إلى غرفة نومي، فوجدتها ترتدي ثيابها، أكملت إرتداء ملابسها وخرجنا لخالد...

_هل كونت مجموعة؟

_أجل..

_من؟

_أنا وأميرة

_فقط؟!!

_نعم.. لا أحد أثق به غيرها..

_حسنًا، أميرة .. هل تعلمين ما العملية؟

_نعم.. قال أحمد كل شيء

_ركزوا معي إذًا.. هذان جهازان تدريب على التصويب، سأوضح لكما طريقة الإستخدام الآن، عليكما أن تتمرنا جيدًا، الموعد قريب... نعمل على تحديده الآن..

كنت أمسك علبة وأقلب فيها بينما قالت أميرة:

_كنا سنخبرك بموضوع التصويب.. لقد بنينا غرفة تدريب بدني، ولكننا لا نجيد التصويب..



_نحن لن نترك شيئًا للظروف، عليكما التمرين بجد.. فالفترة قصيرة جدًا..

رأيت شيئًا جعل صوتي يعلو قليلًا حين أردت التحدث..

_اليو أيه!!!

كانت العلب كلها تحمل شعار اليو أيه، هي صُنعت هناك، لقد أثار الأمر فزعي، فهاجمت خالدًا..

_أتعمل لحسابهم أم لحساب العامة؟

تلك الأشياء من اليو أيه ..هم يدفعون لك ولهم أم ماذا؟

_إهدأ يا أحمد .. سأشرح لك

_لا تشرح، لا أريد أن أفهم، لن أتعاون مع أحد آخر لإحتلالي.. كفاني محتل واحد..

_الأمر ليس كذلك.. إهدأ قليلًا

وضعت أميرة يدها على صدري وحركتها ببطء

_إهدأ يا حبيبي لنفهم، ثم افعل ما شئت وأنا معك.. أكمل يا خالد..

_نحن لا نعمل لحساب أحد.. حصلنا على دعم منهم.. نحصل على دعم فقط...لكن لا ننفذ مخطط أحد

_ولماذا يعطونك الدعم؟ ألديهم فائض في المال وقرروا التبرع لك من أجل حياة كريمة؟!!

_بالطبع لا.. هم ليسوا حمقى ولا أنا أحمق أيضًا.. نغريهم بالنفوذ فقط، ولن نعطيهم شيئًا



_لن يتركوك تلعب بهم

_لايهم.. إن قتلوني لا يهم.. ستكون القضية قد إنتصرت ولم يعد هناك شيء أعيش لأجله.. فلتهدأ وتتدرب، ليس لأجلي..بل لأجل يوم التنظيف، وحينها لن يكون لأحد على أحد أية سُلطة، ودع العامة يقررون، وإن أردت إقتلني بعدها.. لتطمئن أني لن أخون..

هززت رأسي في صمت وإنحنيت على الطاولة، فوقف خالد..

_إعتني به يا أميرة، يبدو أن أعصابه متعبة قليلًا.. سأرحل الآن

خبأ الأجهزة جيدًا وغادر، غادر بسرعة كما أتى..إحتضنتني أميرة وأنا جالس، كانت تطمئنني

_إهدأ يا قلبي.. أنا معك، لن يحدث شيء

إعتدلت وقلت لها:

_نعم.. فليس هناك أسوأ، وإن وُجد فسنكون موتى على كل حال

قمت وإتصلت بالسيد آدم، وطلبت إجازة لي ولأميرة لمدة أسبوع، تحججت بأني مريض وأنها سترعاني، ثم إتصلت بمحمد أشرف وكلفته ببعض الأعمال ليقوم بها بدلًا منا حتى نعود من إجازتنا..

هناك أمر مهم، ستهتم أميرة بأمر الجهاز وطريقة عمله كما في ملف خالد.. وأنا عليَ أن أكتب المقالة اليوم.. لكل يوم يوم مقالة.. ولكن ماذا عليَ أن أكتب؟

إقترحت عليَ أميرة أن أكتب عن ميادين سيناء.. ولكنني قررت أن أكتب عن تزييف التاريخ والحاضر والشبكة..

المقالة ستكون ثلاثية الأبعاد، لذلك سأتمكن من العرض بطريقة أفضل، إستندت إلى كتبي عند كتابة المعلومات التاريخية وإلى بعض من تلك التي على جهازي الشخصي وذاكرتي.. أنهيتها.. وقعت.. ريبيل سبيكتور.. وأرسلت الفيروس إلى



بلاي مجددًا، ساعة واحدة وإنتشر الشبح ثانية على الشبكة، كان الأمر أكثر روعة.... كان ثلاثي الأبعاد، عاود الكابوس هجماته على كل جهاز وكل ركن في الشبكة بلا رادع، الجميع يقرأ... والجميع يتحدث، والحكومة ستُجن..

لم يتخيلوا أن نظامهم بهذه السهولة، الحقيقة أن النظام كان قاسٍ جدًا...قاسٍ لدرجة أنه إنقضت هجماتنا عليه ولم يكن مرنًا ليراها، كان الأمر أعظم، وشعوري بالخطر أصبح أكبر، الآن لا سبيل للتراجع....

لقد دخلت المعبد وغلقت كل الأبواب، إما أن تصبح كاهنًا أو تموت.. فيما أنهيت دوري بشخصية ريبيل سبيكتور.. كانت أميرة تعمل على جهاز التصويب، الأمر أشبه بألعاب الفيديو المنتشرة في مدن الجي لآر سي الكبرى..

تخلق مجالًا ثلاثي الأبعاد ولكنه متقن لدرجة أنه حقيقي، أو عقلك يظن هذا، ومسدسك يُخرج طلقات ثلاثية الأبعاد، وتقوم الأهداف بالتغير، تقف.. تلتف.. تسير ببطء.. تجري وسط الناس، وهكذا تتدرج في مستوياتها العشر، وكان عليَ إتقان كل هذا في أيام معدودة..

كانت أميرة قد أتقنت تشغيلها، بدأنا بالمستوى الأول في اللعبة... الأهداف الثابتة.. يخرج الهدف من باب ويقف حوالي ثلاثين ثانية ثم يركب سيارته، الأمر كان سهلًا جدًا، لدرجة أني لعبت سبع مرات فكانت النتائج الصحيحة إثنتين فقط... لقد كنت رائعًا حقًا، رائعًا لدرجة مخيبة للآمال.. لقد فوتنا موعد الغداء على ما أعتقد، ظللنا نتمرن لساعات، أتقنت المستوى الأول، أصبحت أصيبه في خمس ثوانٍ وبدقة قاتلة، ولكن من قال أن هدفي سيكون ساكنًا لهذه الدرجة؟ في نهاية الساعة السادسة من التدريب على ما أعتقد، وقفت وسط المشهد، وأطلقت النار على أميرة.



_حضري الغداء وإلا قتلتك..

لقد إستغرقت في الضحك ونعتتني بالصبي، وذهبت لتعد لنا الغداء.

مرت ثلاثة أيام ونحن نمارس نظامًا يوميًا صارمًا، ما بين تمرينات بدنية وتصويب ونظام غذائي، أصبحت أكثر حيوية، لقد وصلت للمستوى السابع الآن.... أصبحت ماهرًا، تلك اللعبة تمتلك ذكاءً إصطناعيًا كبيرًا، تُغير كل شيء طبقًا لنقاط ضعفك؛ لتجعل الأمر صعبًا في كل مرة...كما أن خالدًا في اليوم التالي أحضر لنا بعض الأقراص الكيماوية التي تساعد في التمارين الرياضية.

اليوم الرابع كان مفاجأة، لقد وصلت للمستوى الأخير في اللعبة "القنص السريع" .. مكتوب في كتيب الإرشادات الخاص بها أن من يتجاوز ذلك المستوى يحصل على شارة قناص محترف حسب شروط اليو أيه.

ولكن تبقى لعبة الأدرينالين، والقلب، والأعصاب... تتعامل معها على أنها لعبة... ويبقى الواقع مختلفًا كليًا، يبقى العامل النفسي والخوف واللحظة الأخيرة، يبقى كل ذلك خارج النطاق...

كنت أتمرن بجد ،كذلك أميرة... أصبحنا منسجمين حتى في التفكير، تلك الإجازة الشاقة جعلتنا قريبين من بعضنا البعض أكثر...أصبحنا ننهي التمرين ونلقي بأجسادنا في أحضان بعضنا، كانت تأسر روحي، كنت أحبها..



جلست ليلتها ووضعت رأسها على صدري، كنت أُداعب خصلات شعرها الناعم ... "أخشى أن أموت وأتركك" .. هكذا صعدت مني الحروف كأنها تنهيدة طويلة... إعتدلت وإقتربت من وجهي ... ثم أمسكت وجهي بيديها، وقربت عيني من عينيها جدًا..

_إن مِت، فلن أكون حية لتقلق عليَ... أحبك وسأعيش معك... أو نموت سويًا...

_أريد التراجع

_لا... لن نتراجع، سنأخذ حقنا وحق كل هؤلاء الناس حول العالم..

_أريدك..وفقط...

_إن إنتصرنا سنتزوج... سننجب أبناءً، لأننا سنؤمن لهم الحياة...

وضعنا في قبلة أفقدتني القدرة على التفكير.

إستيقظت صباح اليوم الخامس، كانت السادسة صباحًا تقريبًا، تركتها نائمة، وإنسللت من أسفلها... ذهبت للحمام وإستسلمت لرشاش المياة.. ثم بدأت في إرتشاف كوب من بديل القهوة، كانت هناك أفكار مختلفة تثب في عقلي، لم أكن قادرًا على التركيز...

جلست أُقلب في جهازي الشخصي؛ أبحث عن موضوع جديد لمقالات الريبيل سبيكتور...

لقد كتبت حتى الآن خمس مقالات.. عن التلوث، مدن سيناء، النوبة، التعليم، والإتجار بالبشر...

أُقلب في مقالاتي المرتبة عشوائيًا على الجهاز... "ملف بدون اسم" ... ما هذا؟! لا أتذكر وجوده..



فتحت الملف وجلست أجوب داخله، يا الله... لقد نسيت هذا تمامًا، حسنًا لتكن مقالتي بعنوان "زمن القمع الجميل".. الملف كان يحوي صورًا ثلاثية الأبعاد عن أحداث قمع حصلت في الماضي.. حدثت إحتجاجات بين طلاب جامعة مصر الجديدة من أجل مقتل أحد زملائهم على يد أستاذ داخل محاضرة بطلق ناري، كان السبب هو أن سأله الطالب سوالًا جعل الأستاذ يفقد صبره، وقام بإسكاته كليًا حينها.. الغريب لم يكن في حادثة القتل، فهناك أحداث أغرب وأكثر.. لم يكن في الإحتجاجات، فهي تقوم وتختفي طوال الوقت.. الغريب كان في الأسلوب الذي تم به قمع المظاهرة حيث قامت قوات الأمن بضربهم بالقنابل، ليست قنابل دخان... بل قنابل مخدرات!!!!

"تحتوي على ماد مخدرة كالمورفينا الزرقاء...ضربتهم بقنابل تُدعى دي إكس".

قاموا بتغيب عقول كل الطلاب وأقنعوهم أن الطالب هو من قتل الدكتور، لم يمر الأمر هكذا.. مات نحو خمسمائة طالب نتيجة عدم تحملهم الجرعة المخدرة، وأصيب البعض بفقدان في الذاكرة... وتشنجات عضلية، أما من كان سليمًا منهم... فقد أدمن المادة..

.

وكالعادة مُحي كل شيء من الشبكة.. وبقيت سجلاتي تحويها في صمت، أعددت المقالة بالصور والفيديوهات والإحصائيات وأدلة تم محوها من على الشبكة، وقمت بصنع الفيروس وأرسلته إلى بلاي كما هو معتاد..

ساعة واحدة وكان الشبح يملأ الشبكة، ولكن هناك شيء لا أفهمه... بعد مقالاتي كانت هناك موسيقى ليست عادية، لا أتذكر اسمها ولكنها نوع من أنواع المخدرات الإلكترونية، إن كنت تجلس بالقرب من السماعة وقمت بتشغيل تلك الموسيقى، فإنها تصدر ترددات في توازن معين تجعل عقلك يستجيب لها كما



يستجيب للمخدرات، وتلك الحالة كانت تجعلك تغضب.... وبشدة... نوع جديد من الألعاب قد دخل حيز التنفيذ ليوم التنظيف...

بعدها بنحو ساعة أخرى، إتصل بي السيد آدم ليطمئن على صحتي ومتى سأعود، قلت له أني بحاجة لبعض الراحة ليومين آخرين، فلم يمانع... تحدثنا بشأن رسائل الشبح، قال لي أنه يتذكر الحادثة ويتذكر أيضًا أني قد عملت عليها... فيما أخفيت أنا القصة، وقلت أني لا أتذكر ذلك مطلقًا... قال أن عقلي فسد لأني أتابع الساحة، تحدثنا عن يوم التنظيف... قلت ربما إحتجاجات إلكترونية تلك المرة، فقال لي أنه يظن أنه أمر أكبر من ذلك....."البدايات الكبيرة تدل على حدث كبير"... هكذا قالها... أنهيت المكالمه وتنفست الصعداء بعدها، كدت أن أكشف له أمري... كم أكره السيد آدم ونقاشاته تلك... ولأن يومي قد بدأ باكرًا جدًا، قررت أن أتسلى ببعض القنص حتى تستيقظ أميرة ويعود يومي لروتينه المعتاد، طرقات سريعة كدت لا أسمعها، أفزعتني.. ذهبت لأقترب من الباب...

_من؟!!

_إفتح.. أنا خالد

فتحت الباب، فإنسل إلى الداخل، كانت أميرة قد إستيقظت وسبقتنا إلى الردهة...

_علينا أن نرحل الآن، أسرعوا...

هكذا قالها وهو يلهث أنفاسه بوجه عابث..

_ماذا حدث؟!!...وإلى أين؟!!



قلتها متعجبًا.. فرد بأنه سيخبرنا في الطريق.. إرتديت ملابسي مسرعًا أنا وأميرة، نزلنا فطلب مني أن أحضر مسدسي مجددًا.. فأحضرته من السيارة وتركتها...

الحافلة الهوائية المهترئة، الآن فهمت.. نحن ربما ذاهبان إلى نفس المكان السابق، قال بأنه لا يمكننا الحديث إلا عندما نصل، فلم أفهم شيئًا... كنت صامتًا طوال الطريق، ممسكًا بيد أميرة.. أداعبها أحيانًا، نزلنا.. أخذ الطريق يتلوى بنا مجددًا، إنه هو نفس المكان.. ذلك المبنى.. نفس الفتحة في الجدار، المكان من الداخل كان غريبًا، ليس كتلك المرة... كان يحوي خرائط وأجهزة وطاولة إجتماعات، من أين أتى كل ذلك؟...

_تفضلوا...قالها خالد مشيرًا بيمناه إلى الداخل...

دخلت وأنا أتلفت حولي لأشاهد المكان، وأقف أمام الطاولة في المنتصف، وقعت عينيَ على زجاجة بالكاد تحوي القليل من البي بلاك...رفعتها على فمي، أنزلت آخر قطرة فيها في معدتي، ثم جلست في مكاني، وإستمريت أحدق في المكان...

العدد كان أكبر من المرة السابقة، المجموعات على ما أعتقد هي المسئولة عن زيادة العدد، جلسنا في حلقات منفصلة، ثم شرح الخطة لكل منا على حدا، أقصد لكل مجموعة... الخطة العامة هي حشد الناس في ميدان النصر أمام وزارة الحرب...طبعًا الكتب وسيلة للحشد، سنرسل رسائل لمن يتبادلون الكتب معنا، وقبل الميعاد بنصف ساعة ستكون هناك رسالة صوتية أو ثلاثية الأبعاد لريبيل سبيكتور شخصيًا، سننشرها على الشبكة، ستتوزع مهام الفرق بتحديد عشرة مسئولين سيتم قنصهم في نفس اللحظة، الإختيار يأتي بحسب الأهمية وتوافق المواعيد، حالات القنص سوف ترتب من الخارج إلى الداخل، أي من الأبعد في



الميدان إلى الأقرب، وحسب الترتيب أنا وأميرة مهمتنا هي العاشرة، مهمتنا قتل وزير الحرب شخصيًا الجنرال "محمد تيمور"...

سيتم الإغتيال قبل ميعاد التجمع بربع ساعة، سندخل الميدان وهم مرتبكون، ونحتل نحن وزارة الحرب ونلقي بياننا الأول، الذي تكلفت أنا بكتابته وإلقاءه، بما أنني الوجه الإعلامي المعروف....

طبقًا لدراسة سلوكه فإن أمامي حوالي دقيقة واحدة وثلاثين ثانية لتنفيذ الهجوم، بين باب سيارته وباب الوزارة، مكان تمركزي مبنى شرطة الثقافة الجانبي في الميدان، كان قديمًا مبنى لوزارة الإعلام، قبل أن تكلف وزارة الحرب بشئون الإعلام.... كيفية الدخول والتمركز فوق المبنى موجودة في الملف البني اللون الذي أحمله، فسرية البيانات تقتضي بأن تكون ورقية وليست إلكترونية...

أعطاني خالد شريحة إلكترونية أوصلها بجهاز التدريب على القنص الذي لدي، ستدخل عليه تعديلات الموقع ليصبح شبيهًا لميدان النصر، وقال أنه عليَ أن أعمل عليه ليومين، فالباقي من الزمن على ميعاد تنفيذ المخطط هو يومان فقط، تناقشنا في قضايا جانبية وتفاصيل أخرى وإنتهى اللقاء...

قبل أن أرحل وضع خالد يديه على كتفي وسحبني للخلف قليلًا، مال عليَ وألقى بكلمات في أذني..

_لك منصب إن نجحت...

هكذا قال، ولم أفهم، نظرت له بعد أن إبتعدت خطوتين... فحرك يديه على شكل كرة... وحرك شفتيه في بطء بحروف كلمة "السلطة" ، فإبتسمت وخرجت...



أوصلنا بلاي إلى مكان ركوب عربات الهواء، قال أنه في إنتظار مقال اليوم.... وقال أيضًا:

_حاول أن يكون الموضوع حماسيًا أكثر

ركبنا العربة وكنت ممسكًا بيد أميرة وأنا صامت، أفكر في موضوع المقال "أكثر حماسة" .. لن أكتب عن ألعاب الموت كما أظن.. فما الذي يمكن أن يكون أكثر حماسة؟ إبتعلت أسئلتي في حلقي ونظرت إلى أميرة التي قد إستندت إلى زجاج النافذة الذي تغير لونه ومادته بفعل الزمن، فإلتفتت إليَ وقالت أحبك... مالت على كتفي وألقت برأسها عليه وأغمضت عينيها.. فملت عليها برأسي وإستسلمت للطريق..

.

دخلنا البيت، الوقت مازال مبكرًا، اليوم لايزال في أوله.. مع أنني أشعر أنه قد فات أسبوع منذ السابعة صباحًا... دخلت إلى المطبخ وأميرة إلى الحمام، ألقت ملابسها في الردهة وإتجهت إلى الحمام، بينما أنا أكثرت من البي بلاك... كل ما يحدث غير منطقي ويحتاج إلى الخمر لتفسيره، تلك هي نظريتي في الحياة، خرجت أميرة... كانت عارية تمامًا إلا من بعض قطرات المياة، كانت جميلة... قرأت ذات مرة أن المرأة تكن جميلة بعد الإستحمام أو بعد العلاقة... ولكنها كانت جميلة جدًا، وكأنها كانت تستحم بإكسير الحياة....

_أحمد .. أنا خائفة وأريد أن أشبع منك

كانت كلماتها كفيلة بأن يزيد مفعول البي بلاك، لا لم نتمرن يومها على أي شيء، حتى أنني لم أكتب المقال، لقد قطعت وسائل تواصلي مع العالم.. لا يهم ما حدث، فهي أمور خاصة لن تفيدكم... ولكني أنصحكم بتكرار التجربة مع شريك حياتكم...



نعم .. لقد أشبعتها مني، ولم أشبع منها.. أبدًا.. ولازلت أحمقًا ولن أقول حبًا... بل عشقتها..

كانت الرابعة فجر ذلك اليوم حيث دب نشاط غريب في جسدي بحيث إستيقظت وهي مازالت فاقدة للوعي من جراء أحداث اليوم الفائت، كانت جرعة السعادة أعلى، فقد عبثت بعقلها هذه المرة... أتذكر أنها قد حاولت الطيران أثناء ذلك اليوم...إعتدلت، وكنت عاريًا تمامًا، بالكاد تركتني أفلت من بين يديها، لبست بنطالًا قصيرًا فقط، وجلست أمام جهازي الخاص، نقلت حيويتي إلى تلك الوصلة الشبه مؤكسدة داخله... ستستيقظ الحكومة اليوم على ضربة من الشبح، الأمر لن يكون مقالًا، ستكون لعبة ثلاثية الأبعاد، برمجة اللعبة لن تكون صعبة؛ فالأمر ليس معقدًا، يحتاج الأمر إلى بعض التركيز والذكاء، وأنا لا أملكهما ولكني سأحاول.. فتلك الفكرة التي تجوب عقلي تتملكني بشدة... أعتقد أنها مفيدة الآن، ماذا عن البي بلاك؟.. كما تقول القاعدة التي لا يعرفها غيري "أحداث غير منطقية... تحتاج للخمر كتفسير"...

جلست وأنا أنسج لعبة في كتاباتي، عزمت على أن تكون مباراة إعتزال الشبح، أم هو النهائي؟ ... لا أدري، اللعبة بعنوان "حكومة العشرة"...هؤلاء العشرة الذين سوف يتم إغتيالهم بعد غد هم موضوع مقالتي... سأجعل الناس تتمنى موتهم، صممت عشر ملفات كل واحد فيهم معه خيارات... الملف العاشر... الجنرال "محمد تيمور" إن كنت تثق به إضغط هنا... يدخل ليجد نفسه بين كومة من الفضائح المتسلسلة، حرب النوبة... هل أنت معها؟... (نعم) تفتح لك أبوابًا ...و(لا) أيضًا تفتح لك أبوابًا أخرى، (لا ثق به) تفتح لك أبوابًا أيضًا... المقالة كانت كمتاهة، أنهيتها وأنهكتني.

حتى أن مخزون البي بلاك قد نفذ ولم أفقد وعيي حتى الآن...



تفصيل نمط الفيروس... تم الإرسال إلى بلاي، مرت ساعة ولم أجد شيئًا على الشبكة، هل أصبح بلاي أبطأ؟ أم أنني أعاني حالة إنعدام الزمن؟...

وصلتني رسالة تقول "إن كنت متأكدًا فستكون المسئول"... لم تكن على الشبكة، ظهرت كخلفية للشاشة، لم يخطر ببالي إلا أن كلمته على الهاتف...

-آلو

_نعم، متأكد من أن البيت خالٍ...إجلب الساقطات...

لا أعلم من أين أتيت بتلك الشفرة القذرة؟ أو إن كان سيفهمها؟ ولكنه قطع الصمت وحبل أفكاري القصير..

_حسنًا، أنا قادم.. رتب المنزل

وإنقطع الإتصال، عاد الشبح إلى الشبكة وبدأ الكابوس، الحكومة تعد لبيان والشبكة لاتعمل، نعم .. الشبح من قطعها، لقد جمدها، لقد إحتل بلاي الشبكة، تعلو موسيقى المخدرات تلك، وتجعل دمك يغلي في عروقك، إلى أين سينتهون؟ لا أعلم، قطعت وسائل تواصلي مع العالم، وعدت إلى مكاني بين ذراعي تلك الشقية هناك...

غدًا.. هناك يوم حافل، غدًا ربما لن تشرق الشمس، لأنها لن تغيب..

كانت الساعة التاسعة عندما إستيقظت على يد ما تعبث بجسدي، كانت هي تتلوى بجانبي، شككت بأن الساعة تعمل.. أشعر بأنني هنا منذ دهر.. لا أتذكر كم مرة إستيقظت أو نمت أو مارست الحب أو تغازلنا أو شربت.. لكنها كانت مرات عديدة؛ لذلك لا أتذكر جيدًا...

أشعر أنني لم أفارق السرير منذ أعوام..

لا أعي إن كنت أحلم الآن أم إنها هلاوس؟.. ولكني مستمتع جدًا...



طرقات الباب عادت لتزعجني، أعتقد أنني لو بقيت حيًا سأركب بابًا عازلًا للصوت، قمت متكاسلًا من حضن أميرة.. فتحت الباب.. خالد...

_صباح الخير

_ماذا فعلت اليوم؟.. ما هذا؟

_انا.. أنا لم أقصد أن...

_أنت عبقري، قبضوا على ستة وعشرين موظفًا في مناصب الدولة لإتهامهم بإفتعال حوادث الشبح وبأنهم من صنعوا تلك الضجة...

_أنا.. حقًا!! بالطبع عبقري...

_ركز لأنه عليَ الرحيل الآن بسرعة...

_ماذا؟

_في تلك الحقيبة توجد حُلتان لزي الشرطة، شرطة الثقافة.. واحدة لك والأخرى لأميرة.. وأيضًا بطاقتان ممغنطتان لعبور البوابات الداخلية، من الجيد، أن وزارة شرطة الثقافة ليس لديها نظام أمني معقد كوزارة الحرب... فهناك تُفتح الأبواب ببصمة قرنية العين..

ستدخلان المكان على أقدامكما وتتوجها إلى الباب الرئيسي، سلاح القنص سيكون في حقيبة أميرة، ستُفَككه حتى أن أصغر قطعة ستكون بحجم قبضة اليد، وستركبه هناك...وهناك أيضًا أربعة أسلحة نارية لكما، ولن يكون هناك إتصال بيننا حتى لا يتعقبوننا، فأنت تعلم...

_حسنًا، ولكن لدي سؤال...ماذا لو فشلت؟

_ستموت..

_ولماذا أقتل أنا وزير الحرب؟



_لأنك أول من سيلقي البيان؛ فعليك أن تكون قريبًا...

لا تقلق، حالما يموت سيكون الناس قد إزداد عددهم، سأكون معك هناك، إقتله وإترك سلاح القنص وعد نازلًا، وإن صرخوا أنه مات..هرول نحو المكان وباعدهم، بعدها سيكون الناس قد وصلوا في الميعاد... ربع ساعة وستبدأ أعداد الناس في الإزدياد، وأكون أنا وباقي المجموعة ندير حربًا عند الباب الخلفي للوزارة ونحتلها...

_الأمر ليس سهلًا كما تتحدث الآن، بالطبع هناك صعوبات...

_إن كانت الخسارة تعني أن تخسر حياتك، فيجب أن يكون سهلًا.. أو أن تعتبره كذلك لتربح...

إنسل خالد خارجًا دون أن ينتظر ردًا على كلامه... فتحت الحقيبة وأخرجت كل شيء، سلاح القنص والحُلتان والبطاقتان الممغنطتان والسلاحان، كان هناك شيء يعبث بوجدان عقلي، يكاد أن يفتك بي، يكاد أن يمزقني...أهو شعور بالخوف؟ لا تفسير لدي...

إستيقظ ملاكي الحارس من نومه، وجدتني جالسًا على الأرض وقد وضعت مسدسًا على رأسي، أكاد أن أضغط على الزناد.. سأفجر ذلك الشيء الذي يمزقني الآن، مالت عليَ وقبلتني على شفتيَ.. سحبت المسدس وإتجهت للمطبخ لتعد بديل القهوة، حكيت لها ما حدث أثناء نومها، عن المقالة وعن خالد.. إحتضنتني...

_أن كانت الخسارة تعني الموت، فيكفيني الموت معك...ولكن ما يسعدني هو أن نحيا معًا...

هكذا قالت، ثم قامت واقفة وجذبت يدي لأقف معها، وإختطفت شفتيَ في قبلة طويلة سحبت روحي... ومالت عليَ، وتحدثت بصوتها الناعم بحروف تكاد لا تخرج من حنجرتها، قالت هامسة:

_حان وقت التدريب، حان وقت الفوز..



نظرت في عينيها الواسعتين...

_إن كان الفوز سيسعدك؛ فسأفوز من أجلك حبيبتي...

تدربنا على كل شيء بكل جهد، نسينا وجبة الإفطار، وتذكرنا الغداء عندما هدنا التعب، ذكرتني بالرسالة التي ستذاع غدًا بصوتي قبل الميعاد بربع ساعة..
فنهضت وإخترنا الكلمات معًا وسجلتها بصوتي، وبعثتها على شكل فيروس إلى بلاي.. وتابعنا التدريب، حتى فقدنا القدرة على الحراك، كانت الساعة تكاد تقترب من الحادية عشرة مساءً.. دخلنا الحمام معًا، ملأت الحوض وجلسنا في أحضان بعضنا البعض فيه، حتى غلبنا النوم...

الساعة السابعة إلا دقيقة لأكون دقيقًا... إستيقظنا في وقت واحد قبل أن يرن المنبه بدقيقة واحدة، ساعتنا البيلوجية تعمل بكفاءة، شربت كوبًا..ليس كوبًا..
كان شيئًا كبيرًا مملوءًا ببديل القهوة، وخمس سجائر سيئة المذاق .. إرتدينا زي الشرطة، وفككت سلاح القنص.. وأعددنا الأسلحة، لم أشرب البي بلاك... كل شيء جاهز ليوم التنظيف....

راجعنا الخطة أنا وهي، عانقتني قبل النزول، أكاد أسمع دقات قلبي.. أو يكاد هو يخرج من صدري، لم أكن خائفًا بالتحديد.. كانت هناك حالة ما تنتابني ولا أدري ما هي..

أظنه الأدرينالين اللعين..

أختلس النظر لأميرة ونحن في السيارة، كانت شاردة، أظنها تفكر فيما سيحدث لنا، وفي كل من فقدتهم.. وفي حياتنا، لم أزعجها.. تركتها سابحة في ملكوتها الخاص.

الساعة تقترب من الحادية عشرة... ساعة ونصف الساعة على ميعاد الإغتيال وساعتين على ميعاد البيان، أوقفت السيارة بالقرب من ميدان النصر، عدد المدنين هنا محدود جدًا، المكان مدجج برجال الشرطة وقوات الحماية الوطنية والسلاح... كأنك داخل إلى أرض المعركة... وليس ميدانًا في بلدك... نسير بجوار بعضنا، عناصر الشرطة النسائية قليلة هنا، كنت خائفًا... أشعر أن أحدهم



الآن على وشك الصراخ في وجهي وإطلاق النار عليَ... أشعر أن نظراتهم أشعة ليزر تتفحصني وتخبرهم من أنا.... نحن في وسط الميدان، على يميني وزارة الحرب ببناءها الشامخ بلا نوافذ، وعلى اليسار مبنى وزارة شرطة الثقافة، وبجانبها عدة دواوين أمنية وشرطية... أي بإختصار نحن وسط ما يشبه ثكنة عسكرية... الباب الذي يبدو أنه كان مزخرفًا في الماضي، إدارة شرطة الثقافة...بوابات إلكترونية قديمة، من سوء حظهم أنهم لم يغيروها...ربما ليس لديهم ميزانية كافية، ولا أعتقد أن لدينا ثقافة ليكون لها شرطة... أعلم أنها كانت نشطة في الماضي، أعوام حرق الكتب ونشطاء الكتاب... أما الآن فلا داعي...

فالجميع يحصل على معلوماته وثقافته من الشبكة، الشبكة التي يديرها وزير الحرب.. ليس شخصيًا، وأعلم أنه ربما لا يعلم الكثير، ولكنه على الأقل الواجهة التي تجعل كل هذا قانونيًا، ربما موته لن يغير شيئًا... ما تلك الأفكار التي تأتي الآن؟ ...

أنا على البوابة، تقدمت وتبعتني أميرة، هناك جندي يقف مستاءً بجوار البوابة، عليَ تمرير البطاقة من ذلك المكان... ستفتح البوابة، وضعت البطاقة في مكانها ومررتها... تجمد الدم في عروقي، وقد إتسعت حدقتا عيني بشدة... البطاقة لا تعمل، لا... لن أموت هنا، تحرك الحارس نحوي بسرعة بطيئة، وقف أمامي، ولم ينظر إليَ.. إلتف وركل الجهاز بقدمه...

_يبدو أنك جديد هنا، إنه يتعطل كثيرًا... حاول الآن..

مررت البطاقة مرة ثانية، فإنفتحت البوابة...

_شكرًا لك

_لا تشكرني، وظيفتي اللعينة هنا أن أركل هذا الشيء اللعين إذا تعطل...

مررت وأميرة من خلفي، صعدت إلى السطح، المكان ليس مرتفعًا كثيرًا.... سبعة أدوار فقط...



نظرت إلى ساعتي، باقي من الزمن ربع ساعة، ويأتي سيادة الجنرال إلى موعده المحتوم، إتفقت مع أميرة على أن تقف على السلم لتراقب الحركة بالأسفل إن كان أحدهم قادمًا...

وضعت سلاح القنص في مكانه بعد أن ركبته، وجلست أنتظر...

الأصوات تعلو في الأسفل، هو... موكبه، الأصوات تعلو في رأسي وضربات قلبي تزداد بشدة، سيارات الموكب تدخل الميدان تباعًا... الأصوات لاتزال تعلو في عقلي، لا أتحملها...

سكن كل شيء، فُتح له باب السيارة، نزل ... كنت أراقبه من عدسة سلاح القنص..وقف وخلفه السيارة، وأمامه بعض الجنود البائسين يقدمون التحية العسكرية في إجلال وإحترام، أعصاب أصابعي تقاوم لضغط الزناد، إنتهت التحية العسكرية وبدأ يشرع في المشي... يذهب إلى الميدان، الطلقة تخترق الجمجمة....

تفجر المخ، تنتشر الدماء على من حياهم وحيوه، الأصوات تعلو في عقلي...الأرض لا تبتلع دماء الظالمين، الأصوات تعلو في عقلي.. عضلاتي ترفض أوامري بالحركة، أميرة في هلع..

_إنهم قادمون، هيا...

_إرحلي...إرحلي...

_أحمد...هيا...

_إرحلي وأخبري الباقين أني هنا...

_لا ... ليس بدونك...

إجتهدت في إخراج مسدسي من جيبي، بدأت التصويب عشوائيًا على الباب

_إهربي الآن ... هيا...



قدماي لا تعمل... الأصوات تعلو في عقلي، أطلق النار بتزايد لأمنعهم حتى هروبها... قفزت من المبنى الآخر، جرت، غابت عن عينيَ، مازلت أطلق النار في هيستيريا، توقفت... الأصوات مازالت تعلو، تكورت، وضعت يديَ على أذنيَ وتكورت حول نفسي... كان عددهم كبيرًا، لم أشعر بشيء، فقط لسعة كهربية غريبة في مؤخرة رأسي... غبت بعدها عن الوعي...

غرفة ضيقة، لا صوت، لا ضوء، منذ متى وأنا هنا...

لا أدري...كم مر من الوقت؟ ألازلت حيًا؟ أم أن هذا قبر؟

هل نحيا في القبر؟ ...ماذا حدث بالخارج؟ ..هل نجحوا؟ ... أميرة.... أين هي؟

هل نجت؟ أم هي هنا؟ ..أين هنا؟ ..أين أنا؟ ... لقد قتلته، لم أكن أعرف أن الأمر صعب، عقلي يرفض، أعطيت أعصابي وعضلاتي أوامر متضاربة... إقتله...لا تقتله..تستطيع، لا تستطيع... قتلته وقتلت أعصابي معه.. كنت ضعيفًا، لم أحتمل القتل، يوجد صوت أقدام...هناك من يأتي...

إذًا أنا حي...يزداد الصوت خلف الجدار، ينفتح الباب فيدخل الضوء، فلا أرى...

إثنان، إثنان في زي عسكري، ووجه يكاد ينفجر من الغضب، العينان تكادان تصدران أشعة الليزر التي تحرق وجهك، بلا كلام ... أمسكاني، جعلاني أقف، لا أشعر بقدميَ، كنت كالمُخدر بالكامل، هناك أيضًا صداع نصفي يشق طريقه إلى الجلد الخارجي للجمجمة...

جروني إلى غرفة، كان الممر ضيقًا ومظلمًا، إنفتح الباب، أجلسوني على كرسي، ربطوني جيدًا...

كان هناك صوت قطرات مياة، الصوت يثير جنوني، هناك صعقة كهرباء، لكني لازلت أشعر، لم أغب عن الوعي.. أشعر بكل الألم، أشعر بنوايا خلايا جسدي تنفجر، كل شعرة في جسدي تصدر ألمًا، كل المسام تنضح بالألم...

_إذًا أنت البطل، أم أن هناك غيرك؟



من أنت؟ .. أو من أنتم؟...

هكذا قال صوت غليظ في غضب... لا أرى شيئًا، هل من أحد هنا؟ ... من يتحدث إليَ؟... صعقات أخرى وإنفجارات في جسدي... أشعر بدم يسيل من أنفي..

هناك وجه يخرج من الظلام، بل جسد... كان ضخمًا، يرتدي حُلة سوداء على ما أعتقد...

_من أنت؟

كان صوته يصيبني بتشنجات...

_لا أعرف شيئًا..

كنت صادقًا، فخلايا عقلي لا تعمل... أشعر أنني حقًا لا أعرف شيئًا.. صعقات أخرى من الكهرباء، أشعر أنها تزداد كل مرة...

_أخبرني بكل شيء.. لن أسألك.. أخبرني بكل شيء... وسأتركك .. أو لن تخرج من هنا..

صعقات الكهرباء... أتمنى أن أفقد وعيي الآن، أو أن أفقد حياتي.. الألم كبير، كنت أصرخ...

_إسمي أحمد، لا أعرف شيئًا... أنا صحفي، لا أعرف شيئًا...آآاه ... لا أعرف شيئًا... خالد هو القائد .. لا أعرف شيئًا، سنقتل الجميع ... آآاه .. أنا الشبح، لا أعرف شيئًا، سنأخذ الحكم.. لا أعرف شيئًا، آآاه ...إقتلني الآن.. إقتلني، لا أعرف شيئًا... آاه ... آآاه..

وجدت نفسي في الغرفة المظلمة، كنت أغفو فأجد نفسي على الكرسي، كنت أُصعق بالكهرباء حتى أجد نفسي في الغرفة، لم أكن أعرف أين أنا؟ .. أو كم مر من الوقت؟ ..



وهل كل ما يحدث يحدث؟ أم أنها هلاوس؟ .. هل أنا في الغرفة على الكرسي؟ ... أين أنا؟؟

حكيت له كل شيء أعرفه عن يوم التنظيف، وعن خالد، وعن أميرة... لكني حقيقة لم أعرف شيئًا، ظل يعذبني حتى أحسست أن خلايا جسدي قد ماتت، وجُددت ملايين المرات...

كنت في الغرفة... الظلام .... لا أشعر بجسدي، هناك ضجة، هي في رأسي، هي في الخارج... لا أدري، الضجة تزداد... رائحة الدخان تخنقني، يقتلونني الآن... الضوء، أشخاص كثيرون، يسحبوني، يجروني... الهواء.. الضوء.. الماء .. الضجيج، أين أنا؟ .. رائحة غاز ودماء، رائحة موت.. جلست على الأرض وتكورت حول نفسي، أين أنا؟ .. أميرة.. هي هنا.. تمسك بي، تجعلني أقف، أنظر إليها، لا أستطيع التحدث... الكلمات عالقة بحلقي، أجذبها، قدماي تعملان، أجري، أجري بها... لا أرى، أجري وأجري..أبتعد عن الضجيج..

_إهدأ.. إهدأ

كان صوتها رقيقًا، هدأت .. توقفت، جلست على ركبتيَ؛ فضممت رأسي إليها..

_ماذا حدث؟ وماذا يحدث؟

كنت أرتجف، ضمتني إليها وبدأت في السرد..

نجحنا، لقد أتوا.. حاولنا إحتلال وزارة الحرب، ولكن الأمر إحتاج وقتًا.. يومين أو ثلاثة أيام.. مات الكثيرون، طلبنا دعم اليو أيه، مدونا بالسلاح.. واجهنا وإنتصرنا... مدونا بالسلاح .. واجهنا الكثيرين منهم وإنتصرنا، طلبنا دعم اليو أيه... الناس الآن تملأ الميدان، لقد حررناك من سجن وزارة شرطة الثقافة، حررنا الجميع... نحاول أن نسيطر على كل العاصمة، سننجح.. اليو أيه يساعدنا.. كان صوت الضوضاء يعلو في عقلي، أسمع هلاوس، كان كلامها



واضحًا، لكني غير مستوعب.. كانت الكهرباء لا تزال تسري في جسدي.. إستندت عليها ووقفت، ساعدتني، كدت أقع فإحتضنتني... ضممتها إليَ بشدة، تحسست المسدس في جنبها...

_حبيبي، سآخذك إلى هناك، الجميع يعلم أنك الشبح، يريدون أن يروك..

لم أرد، أرى المباني المهدمة، والمحروقة تبدو مخربة، أرى أعلام اليو أيه، أرى طائرة للجي آر سي، ضممتها بشدة... كان وجهي للميدان.. رفعت مسدسها، وضممتها لأمنع حركتها، وضعت المسدس على رأسي، وضغطت عليها في حضني جيدًا، كانت دموعي تنساب، رفعت وجهها .. سحبت روحي في قبلة.. جعلتني أغمض عينيَ، فلم أعد أرى..

"تمت"

للتواصل مع الكاتب

https://www.facebook.com/fathy.mohammed.1993



في العام 2130 حين يبقيك قدرك البائس في مصر

ان تكون صحفيا

و تموت من تحب فى فيضان يبتلع مدينتك

وتُسلب ارادتك

وترتحل بحثا عن الحقيقة

ان تقحم نفسك فى تلك المنظمات التى توزع الكتب

ان تقرأ بعد ان حرمت القراءه

ان تجد نفسك فى صراع دولى بين قطبين يتصارعان من يمحيك أولاً

ستتعلم كيف تكون شبحاً . ستتعلم متى يجب إيقاف حياتك

عن الحب و الثورة وأشياء أخرى .....

شبح الثائر

